المبحث السادس
الدروس الدعوية

١ ـ أهمية التخطيط للدعوة:

يقول د/ بامدحج: «التخطيط سِمة من سِمات الدعوة الإسلامية منذ نشأتها، اهتم به الإسلام، ودعا إليه دعوة جادة وواعية، ولم يقتصر في دعوته هذه على الافتراضية والجوانب النظرية فقط، بل أبرز جانب التخطيط إبرازًا عمليًّا، واعتبره من الجوانب العملية التطبيقية؛ لأن التطلع إلى أفضل النتائج بطرق منظمة في الدعوة إلى الله تعالى لابد أن تعتمد ـ بعد توفيق الله ـ على تخطيط منظَّم؛ ليخرج العمل بعد ذلك في أحسن صورة، ويعطي أطيب الثمار.

والدعوة الإسلامية منذ نشأتها وهي دعوة منظمة، ليس للعشوائية فيها مجال، ولا للتخبط منها نصيب، ومن يدقق النظر في سيرة الرسول ﷺ يجدها أنموذجًا عاليًا للتخطيط، فليس هناك خطوة من خطوات الدعوة غير مدروسة، وليس هناك عمل من الأعمال التي حققت هدفًا من أهداف الدعوة غير مخطط له.

التخطيط الدعوي هو: بُعد النظر، والاستعداد للمستقبل باستخدام الطاقات والإمكانيات المتوفرة لتحقيق أهداف الدعوة في فترة زمنية محددة.

ولو تأملنا سيرة الرسول ﷺ قبل غزوة أُحد لوجدنا أنه كان يُعد لكل أمر عُدته ويهيئ له أسبابه، آخذًا حِذره، مُقدِّرًا كافة الاحتمالات، واضعًا ما أمكنه من الاحتياطات، مع أنه كان أقوى المتوكلين على الله تعالى.

ومن هنا ينبغي أن ننبه إلى أن التخطيط يتوافق مع الأخذ بالأسباب ولا ينافي التوكل على الله ﷻ؛ لأن المسلمين عامة والدعاة الى الله ﷻ خاصة مطلوب منهم ألا يعتمدوا على الأسباب فقط، بل يأتون بها مع الاعتماد والتوكل على الله ﷻ، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد كان يعتمد ويتوكل على الله ﷻ في جميع شؤونه مع بذل الأسباب، فلو كان فعل الأسباب يتنافى مع التوكل لكان تخطيطه ﷺ للدعوة منذ نشأتها منافيًا للتوكل، ولكن كان ﷺ يبذل كل الأسباب والطاقات مع الاعتماد على الله ﷻ.

وفي غزوة أُحد نرى بعض مظاهر تخطيطه ﷺ مع التوكل على الله ﷻ، والاعتماد عليه ﷻ في الدعوة الإسلامية في عدة مواطن من أحداثها سنحاول أن نستعرضها في هذا المبحث وفق الفقرات التالية:

تخطيط الرسول ﷺ في غزوة أُحد: لا شك أن أهم الاتجاهات التي خطط لها الرسول ﷺ مع قريش كان الاتجاه الساحلي الذي يقطع عنها خطوط الإمداد الرئيسة، ونجح في ذلك، ثم خطط للاتجاه

الشرقي الذي تحولت إليه قريش بعد قطع الأول، وتم له محاصرة عدوه من كل الاتجاهات، ونشبت معارك عديدة لفك الحصار، انتهت بالانتصار للمسلمين.

[فن الحرب الإسلامي في عهد الرسول ﷺ ـ د/ محمد ضاهر وتر ص ١١٧].

جمع المعلومات الكاملة عن جيش قريش: حصل الرسول ﷺ على المعلومات الكاملة عن استعداد قريش لغزو الرسول ﷺ والمسلمين في وقت مبكر قبل تحرك قريش لغزو الرسول ﷺ والمسلمين، فقد أرسل العباس ﷺ رسالة إلى رسول الله ﷺ وضمَّن الرسالة معلومات كاملة عن جيش قريش وعدد القوات والتاريخ الذي خرجت فيه، وسُلِّمت الرسالة إلى النبي ﷺ وهو في مسجد قباء.

قرأ الرسالة على النبي ﷺ أُبي بن كعب ﷺ، فأمره بالكتمان، وعاد مسرعًا إلى المدينة، وتبادل الرأي مع المهاجرين والأنصار في كيفية مواجهة الموقف، وكان ﷺ قد استدعى سيد الأنصار سعد بن الربيع ﷺ وأطلعه على خبر رسالة العباس ﷺ، فقال: **يَا رَسُولَ الله! إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ خَيْرٌ**، فاستكتمه إياه، فلما خرج رسول الله ﷺ من عند سعد ﷺ، قالت له امرأته: **مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ الله؟ فَقَالَ: مَا لَكِ وَلِذَلِكَ لا أُمَّ لَكِ؟ قَالَتْ: قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ عَلَيْكَ**، وَأَخْبَرَتْ سَعْدًا ﷺ الخَبَرَ، فَاسْتَرْجَعَ سَعْدٌ ﷺ، وَقَالَ: **لا أَرَاكِ تَسْتَمِعِينَ عَلَيْنَا وَأَنَا أَقُولُ لِرَسُولِ الله ﷺ تَكَلَّمْ بِحَاجَتِكَ**، ثُمَّ أَخَذَ يَجْمَعُ لَبَّتَهَا، ثُمَّ خَرَجَ يَعْدُو بِهَا حَتَّى أَدْرَكَ رَسُولَ الله ﷺ بِالجِسْرِ، وَقَدْ بَلَحَتْ (انقطعت من الإعياء فلم تقدر أن تتحرك)، فَقَالَ: **يَا رَسُولَ الله، إِنَّ امْرَأَتِي سَأَلَتْنِي عَمَّا قُلْتَ، فَكَتَمْتُهَا، فَقَالَتْ: قَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ رَسُولِ الله، فَجَاءَتْ بِالحَدِيثِ كُلِّهِ، فَخَشِيتُ يَا رَسُولَ الله أَنْ يَظْهَرَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ فَتَظُنَّ أَنِّي أَفْشَيْتُ سِرَّكَ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**خَلِّ سَبِيلَهَا**». [الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٣٧، والسيرة الحلبية ٢/ ٢١٧، والمغازي للواقدي ١/ ٢٠٣].

وهذا يدلنا على أن واجبات الداعية أن يعرف أخبار عدوه حتى يقف عليها، يتصفح أحواله حتى يخبرها، فيسلم من مكروه. [الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي ص ٩٢].

والرسول ﷺ عندما جعل لنفسه بعض العيون استطاع أن يعرف أخبار قريش منذ خروجها من مكة، واستطاع كذلك معرفة قوة الجيش وعدده فأخذ حِذره، وسلِم من مباغتة قريش له، واستعد لجيش العدو، ولو لم يفعل ذلك ويخطط لمعرفة المعلومات كافة لما استطاع أن يستعد لملاقاة كفار قريش.

توثيق المعلومات المجموعة بإرسال الرسل: أرسل النبي ﷺ أنسًا ومؤنسًا ابني فضالة ﷺ يتسنَّطان أخبار قريش، فألفياها قد قاربت المدينة، وأرسلت خيلها وإبلها ترعى زروع يثرب المحيطة بها، وأرسل بعدهما الحباب بن المنذر ﷺ مستطلعًا، فجاءت الرسل تؤكد ما أخبر به العباس، وأن جيش قريش بمشارف المدينة. [المغازي للواقدي ١/ ٢٠٦، والسيرة النبوية لأبي شهبة ٢/ ١٨٧].

وهذا يدلنا على أن الرسول ﷺ قد اختار أشخاصًا لهذه المهمة تتوافر فيهم صفات معينة أهمها المحافظة على السر والكتمان إضافة إلى الثقة المتوافرة في الشخص.

الشورى جزء كبير من التخطيط: لا شك أن للشورى أهمية كبرى في أي عمل؛ وذلك لأن الشورى تعد جزءًا كبيرًا في التخطيط لأنه خلال انعقاد مجلس الشورى يتم تحديد المشكلة القائمة، ويتم تقديم أفضل السبل لمواجهة المشكلة، والتشاور في أنجع الوسائل والأساليب التى تتناسب مع الموقف، وبالتالي يتم التوصل إلى أجود الآراء والحلول، ويتم تطييب خواطر المشاركين في الأحداث لرص الصفوف وتقوية الجماعة، والرسول الكريم ﷺ حينما طلب من الصحابة رضي الله عنهم تقديم المشورة لمواجهة جيش قريش أراد ﷺ أن يبين للمسلمين عامة والدعاة خاصة، أهمية الشورى ومكانتها في أي عمل أو تخطيط، فقد كان رأي النبي ﷺ البقاء في المدينة وقال: «**رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ**».

[السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٩، تاريخ الطبري ٣/ ٥٠٢، المغازي للواقدي ١/ ٢٠٩].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «**فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُقِيمُوا بِالْمَدِينَةِ وَتَدَعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مُقَامٍ، وَإِنْ هُمْ دَخَلُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ فِيهَا**»، وَكَانَ رَأْيُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ مَعَ رَأْيِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَرَى رَأْيَهُ فِي ذَلِكَ، وَأَلَّا يَخْرُجَ إِلَيْهِمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَكْرَهُ الْخُرُوجَ، فَقَالَ رِجَالٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، مِمَّنْ أَكْرَمَ اللهُ بِالشَّهَادَةِ يَوْمَ أُحُدٍ وَغَيْرِهِ، مِمَّنْ كَانَ فَاتَهُ بَدْرٌ: **يَا رَسُولَ اللهِ، اُخْرُجْ بِنَا إِلَى أَعْدَائِنَا، لَا يَرَوْنَ أَنَّا جَبُنَّا عَنْهُمْ وَضَعُفْنَا؟**...

فَلَمْ يَزَلْ النَّاسُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، الَّذِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ حُبُّ لِقَاءِ الْقَوْمِ، حَتَّى دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ،... ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ نَدِمَ النَّاسُ، وَقَالُوا: اسْتَكْرَهْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ لَنَا ذَلِكَ، فَلَمَّا خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ اسْتَكْرَهْنَاكَ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَنَا، فَإِنْ شِئْتَ فَاقْعُدْ صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لَأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ**».

[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٣].

ومن هنا يتبين لنا أن أي تخطيط منظم لابد أن يبدأ بالشورى وينتهي بالعزم وعدم التردد لكي يُكتب له النجاح والتوفيق بإذن الله تعالى.

التخطيط للتركيز على الاتجاه المناسب: بعد أن تشاور الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم واستقر الرأي على الخروج لملاقاة قريش خارج المدينة، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى الْقَوْمِ مِنْ كَثَبٍ ـ أَيْ مِنْ قُرْبٍ ـ مِنْ طَرِيقٍ لَا يَمُرُّ بِنَا عَلَيْهِمْ؟**»، فَقَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ أَخُو بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الْحَارِثِ رضي الله عنه: **أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ**، فَنَفَذَ بِهِ فِي حَرَّةِ بَنِي حَارِثَةَ، وَبَيْنَ أَمْوَالِهِمْ حَتَّى سَلَكَ فِي مَالٍ **لِمِرْبَعِ بْنِ**

قَيْظِيٍّ، وَكَانَ رَجُلًا مُنَافِقًا ضَرِيرَ البَصَرِ، فَلَـمَّا سَمِعَ حِسَّ رَسُولِ الله ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ المُسْلِمِينَ قَامَ يَحْثِي فِي وُجُوهِهِمْ التُّرَابَ، وَيَقُولُ: **إِنْ كُنْتَ رَسُولَ الله، فَإِنِّي لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ حَائِطِي**.

وَقَدْ ذُكِرَ لِي إِنَّهُ أَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: **وَالله لَوْ أَعْلَمُ إِنِّي لَا أُصِيبُ بِهَا غَيْرَكَ يَا مُحَمَّدُ لَضَرَبْتُ بِهَا وَجْهَكَ**.

فَابْتَدَرَهُ القَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَقْتُلُوهُ فَهَذَا الأَعْمَى أَعْمَى القَلْبِ، أَعْمَى البَصَرِ**».

إن قول الرسول ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم: **مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى القَوْمِ مِنْ كَثَبٍ ـ أَيْ مِنْ قُرْبٍ ـ مِنْ طَرِيقٍ لَا يَمُرُّ بِنَا عَلَيْهِمْ؟** ثم سلك الرسول الكريم ﷺ في مال لمربع بن قيظي، حتى لا يشعر به جيش قريش، وهذا التخطيط له دوره في انتصار الدعوة الإسلامية، حيث خطط ﷺ لاختيار الوقت المناسب والطريق الأصلح.

اختيار الموقع المناسب: أدرك الرسول ﷺ أهمية جبل أُحد لحماية جيش المسلمين، فعندما وصل جيش المسلمين إلى جبل أُحد جعل الرسول ﷺ ظهره إلى الجبل ووجهه إلى المدينة، وانتقى خمسين من الرماة تحت إمرة عبد الله بن جبير رضي الله عنه، ووضعهم فوق جبل «عينين» المقابل لجبل أُحد، وذلك ليمنع التفاف جيش المشركين حول جيش المسلمين، وأصدر أوامره إليهم قائلًا: «**إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا القَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**». [البخاري في الجهاد (٣٠٣٩)، وفي المغازي (٤٠٤٣)، فتح الباري ٦/ ١٨٨، ٧/ ٤٠٥].

سيطر المسلمون على المرتفعات وتركوا الوادي لجيش مكة ليواجه أُحد وظهره إلى المدينة، وهذا أيضًا من التخطيط؛ لأن اختيار الموقع المناسب للدعوة له دوره وأهميته في استمراريتها ونجاحها.

اختيار المكان المناسب من الناحية الجغرافية: يُعد اختيار المكان المناسب في المعركة ذا أثر كبير على نتائجها، فقد اختار الرسول ﷺ لمعسكره موضعًا مرتفعًا، فوضع الرماة فوق جبل عينين المقابل لجبل أُحد؛ وذلك ليمنع التفاف جيش المشركين حول جيش المسلمين؛ وليحتمي بهم إذا نزلت الهزيمة بالمسلمين، وقد استدل أهل الخبرة والدراية بالحرب من فِعْل الرسول ﷺ هذا على أنه ينبغي لقائد الجيش أن يجتهد في حماية ظهور جنده من أعدائه، فمن واجبات القائد لحماية جنده «أن يتخير لهم موضع نزولهم لمحاربة عدوهم، وذلك أن يكونوا أوطأ الأرض مكانًا وأكثرها مرعى وأحرسها أكنافًا وأطرافًا ليكون أعون لهم على المنازلة وأقوى لهم على المرابطة». [الأحكام السلطانية للماوردي ص ٩٢].

وكذلك يجب على قائد الجيش أن يسند ظهور أصحابه إلى التلال أو الأنهار وما أشبه ذلك مما يؤمن سرعة التطرق والكمن والبيات من العدو ... وذلك أن العدو إذا أتى مواجهة واجهه أهل المعسكر باللقاء بالسلاح ودافعوه بما تصل إليه طاقاتهم من الدفاع، وأما إذا أتى من جهة ظهر العسكر، فإن لم

يكن هناك ما يحفظ ظهره ربما هجم العدو على العسكر على حين غفلة منه.

[تفريج الكروب وتدبير الحروب للأنصاري ص ٥٩-٦٠].

اختيار الشخص الأصلح والمناسب للمهمة المناسبة: قام الرسول ﷺ باختيار الأشخاص المناسبين لكل مهمة، وذلك بوضع الشخص المناسب في المكان المناسب، فقد كان ﷺ يعرف أصحابه، فهو يعرفهم في الحرب والسلم معًا؛ لذا قام بإسناد كل مهمة إلى مَنْ يراه مناسبًا لها، و من ذلك:

١ ـ أعطى الألوية لأشخاص معينين.

٢ ـ وزع رسول الله ﷺ الرماة في الجبل، و أَمَّر عليهم عبد الله بن جبير ﷺ.

٣ ـ عهد إلى أبي طلحة ﷺ برمي النبال، وكان ﷺ راميًا شديد النزع ماهرًا في تسديد الإصابة، فكان رسول الله ﷺ يقول لحامل النبال: **انثرها لأبي طلحة.**

[البخاري في المغازي (٤٠٦٤)، في مناقب الأنصار (٣٨١١)، ومسلم في الجهاد والسير (١٨١١)].

٤ ـ وأعطى الراية لعلي بن أبي طالب ﷺ (ثم لمصعب ﷺ)، وأمرهم بعدم القتال إلا بأمر منه ﷺ.

وهذا جزء من التخطيط، فلو لم يفعل ذلك لما كان الجيش منظمًا، ولما استطاع مواجهة كفار قريش.

تنظيم الجيش وَصَفُّ أصحابه على هيئة صفوف الصلاة: انتقى رسول الله ﷺ خمسين من الرماة تحت إمرة عبد الله بن جبير ﷺ وأصدر أوامره إليهم بأن ينضحوا الخيل بالنبل وأن لا يبرحوا أماكنهم قائلًا: «**إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا القَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**». [البخاري في الجهاد (٣٠٣٩)، وفي المغازي (٤٠٤٣)].

ثم قال رسول الله ﷺ للجيش: «**لَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُوذِنَكُمْ**»، وقال: «**لا يُقَاتِلَنَّ أَحَدٌ حَتَّى آمُرَهُ بِالقِتَالِ**».

وقال لأمير الرماة: «**انْضَحِ الخَيْلَ عَنَّا بِالنَّبْلِ، لا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا، إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا، فَاثْبُتْ مَكَانَكَ لا نُؤْتَيَنَّ مِنْ قِبَلَكَ**».

وقال للرماة: «**الزَمُوا مَكَانَكُمْ لا تَبْرَحُوا مِنْهُ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نَهْزِمُهُمْ حَتَّى نَدْخُلَ عَسْكَرَهُمْ فَلا تُفَارِقُوا مَكَانَكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ فَلا تُعِينُونَا وَلا تَدْفَعُوا عَنَّا، وَارْشُقُوهُمْ بِالنَّبْلِ؛ فَإِنَّ الخَيْلَ لا تُقْدِمُ عَلَى النَّبْلِ، إِنَّا لا نَزَالُ غَالِبِينَ مَا مَكَثْتُمْ مَكَانَكُمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ عَلَيْهِمْ!**». [السيرة الحلبية ٢/ ٤٩٦].

وذلك لكي يبين ﷺ أن «ترتيب الجيش في مصاف الحرب، والتعويل في كل جهة على من يراه كفؤًا لها، ويتفقد الصفوف من الخلل فيها، ويراعي كل جهة يميل العدو عليها بمدد يكون عونًا لها».

[الأحكام السلطانية للماوردي ص ٩٢].

وقد تقدم رسول الله ﷺ أصحابه في غزوة أُحد وصفَّهم على هيئة صفوف الصلاة «وجعل رسول الله ﷺ يمشي على رجليه يُسوِّي تلك الصفوف، ويبوئ أصحابه للقتال، يقول: تقدم يا فلان! وتأخر يا فلان!

فهو يقوِّمهم حتى استوت الصفوف» [المغازي للواقدي ١/ ٢١٩]، فوضع في مقدمة الصفوف الأشداء لكي يفتحوا الطريق لمن خلفهم؛ وقد أخذ الرسول ﷺ بهذا الأسلوب لأنه أبلغ في قتال الأعداء. [العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ لفرج ص ٣٥٥-٣٥٦، والقيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ للرشيد ص ١٣٠].

حقًّا لقد كان الرسول ﷺ أنموذجًا رائعًا للتخطيط المحكم، ينظم الجيش ويرص الصفوف، ويعيِّن القادة، ويعيِّن حَمَلَةَ الألوية، ويقول: يحمل الراية فلان، فإن استشهد ففلان، فإن استشهد ففلان، خطة محكمة من حلقات متماسكة، متقنة التدبير والإعداد، آخذة بعين الاعتبار كل الاحتياطات اللازمة.

حدد لحظة البداية بأن أمر ﷺ ألا يقاتل أحد إلا بأمره: وهذا الأساس في غاية الأهمية؛ لما فيه من توحيد لجهة القيادة والمسؤولية، وعدم العشوائية في قتال الأعداء، قال الرسول ﷺ للرماة: «**لَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُوذِنَكُمْ**»، وقال: «**لا يُقَاتِلَنَّ أَحَدٌ حَتَّى آمُرَهُ بِالقِتَالِ**».

«وبتعيين هذه الفصيلة في الجبل مع هذه الأوامر العسكرية الشديدة سد رسول الله ﷺ الثلمة الوحيدة التي كان يمكن لفرسان المشركين أن يتسللوا من ورائها إلى صفوف المسلمين، ويقوموا بحركات الالتفاف وعملية التطويق». [الرحيق المختوم ٢٩٩].

وكذلك وضع الرسول ﷺ بقية جنوده في الأماكن المناسبة، «فجعل على الميمنة المنذر بن عمرو، وجعل على الميسرة الزبير بن العوام، يسانده المقداد بن الأسود». [الرحيق المختوم ٢٩٩].

ويمكنا القول بأن التنظيم والتخطيط المتقن من أقوى عوامل نجاح الدعوة، فقد نجحت الدعوة بفضل الله ﷻ ثم بالتخطيط الواعي والتنظيم الدقيق، بينما كانت الفوضى والارتجالية سبب فشلها».

[مشكلات الدعوة والداعية ـ أ/ فتحي يكن ص٧٥ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م].

[غزوة أحد لبامدحج ١٣٧-١٤٧].

٢ ـ الحذر من مكائد الأعداء في إيقاع الفرقة بين أفراد الصف:

يقول د/ زيدان: «لقد حاول أبو سفيان إيقاع الفُرقة بين المسلمين بإرساله من يخبر الأنصار بأن لا خلاف بينهم وبين قريش، ويطلب منهم التخلية بينهم وبين محمد ﷺ، فردوا عليه بما يكره؛ لأن إيمانهم عصمهم من الوقوع فيما أراده أبو سفيان منهم، ومحاولة أخرى من أبي عامر الفاسق الذي ظهر في مواجهة جيش المسلمين وأخذ يناديهم: يا معشر الأوس ـ لأنه منهم نسبًا ـ أنا أبو عامر، يريد منهم متابعته والانصراف عن محمد ﷺ، ولكن إيمانهم عصمهم من ذلك فقالوا له: «**لا أَنْعَمَ اللهُ بِكَ عَيْنًا يَا فَاسِقُ**».

فعلى الدعاة: أن يحذروا من مكائد العدو وسعيه الحثيث في إيقاع الفُرقة بينهم وبما يثيرونه فيهم من معاني العصبية القبيلة أو غيرها من العصبيات الأخرى، وليعلوا بإيمانهم على كل ما يناقضه مما يتشبث به العدو». [المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ١٩٦].

٣ ـ طاعة الأمير ما دامت هذه الطاعة في غير معصية:

يقول د/ زيدان: «ذكرنا من قبل أن النبي ﷺ أوقف خمسين رجلًا بإمرة عبد الله بن جبير ﷺ على الجبل؛ لحماية ظهور المسلمين من أن يأتيهم العدو من خلفهم، وأمرهم ألا يتركوا أماكنهم مهما كانت الظروف والأحوال، ولكنهم خالفوا هذا الأمر إلا قليلًا منهم، فهجم العدو على من بقي من الرماة وقتلهم، ثم هجم على جيش المسلمين من الخلف، ورجع المشركون المنهزمون يقاتلون المسلمين الذين وقعوا في حصار المشركين من الأمام ومن الخلف، وهكذا حَلَّت بالمسلمين الهزيمة بعد أن كان النصر لهم في أول القتال، وكل ذلك كان شؤم مخالفة الرماة أمر رسول الله ﷺ بالبقاء في أماكنهم.

فعلى الدعاة: الاعتصام بطاعة أميرهم ما دامت هذه الطاعة في غير معصية، ولا يسوغ لهم مخالفة أوامره ما دامت في الأمور الاجتهادية؛ ولا تقع في دائرة معصية الله، إن التزامهم بهذه الطاعة أمر ضروري لنجاحهم في دعوتهم وقبول الناس منهم ما يدعون إليه، وليعلموا أن طاعتهم لأميرهم طاعة لشرع الله؛ لأنه أمر بطاعة الأمير في غير معصية الله، وإذا لم يلتزموا بهذه الطاعة وقعوا في الفوضى والفُرقة وتشتت الآراء، وكل هذه الأمور معوقات النصر». [المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ١٩٦-١٩٧].

ويقول أ/ عبَّاد: «إن انقلاب الموازين وانتكاس الكفة وتحول النصر إلى كارثة، كل هذا ترتب على عصيان الأوامر، فلعله يكون درسًا عميقًا يتعلم منه الفرد المسلم قيمة الطاعة؛ لأن الجماعة التي لا يحكمها أمر واحد أو التي يغلب على أفرادها وطوائفها النزعات الفردية النافرة لا تنجح في صدام مع أعداء دينها؛ لذلك تأسست وقامت الجندية على الطاعة التامة، وإحسان الجندية كإحسان القيادة».

[مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ١٠٢].

ويقول د/ بامدحج: «طاعة ولي الأمر في الإسلام وسيلة لا غاية، وسيلة إلى مقاصد معينة يستطيع ولي الأمر بما له من صلاحيات خاصة أن يحقق ويبلغ ما يعجز عن بلوغه آحاد المسلمين.

وجماع هذه المقاصد هو: إقامة أمر الله ﷻ في الأرض على الوجه الذي شرع؟ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأمر بكل معروف ونشر الخير والرفع من قدره، والنهي عن كل منكر، والقضاء على كل فساد، والحط من شأنه وأهله، وهذا هو الهدف والمقصد الأساس من ولاية الأمر في الإسلام، وقد أوضح الله ﷻ هذا الهدف في كتابه الكريم حيث قال: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[الحج].

فالمقصد الأساس والجامع لولاية الأمر هو: إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «وجميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

[الحسبة في الإسلام ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٤].

بل إن طاعة ولي الأمر دليل على الإيمان قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء].

فناداهم ﷻ بصفة الإيمان الذي من مقتضاه طاعة ولي الأمر، بل وأمرهم به في الآية نفسها.

بل إن طاعة أولي الأمر في غير معصية الله من طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ كما جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعْ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي، وَإِنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللهِ وَعَدَلَ، فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا، وَإِنْ قَالَ بِغَيْرِهِ فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ**». [البخاري في الجهاد (٢٩٥٧)، ومسلم في الإمارة (٣٤١٧، ٣٤٢٨)].

(وإذا كانت الطاعة الواجبة هي طاعة الله ورسوله ﷺ، وطاعة أولي الأمر تابعة لطاعة الله ورسوله، فإنه لا يُطاع غير الله ﷻ ورسوله ﷺ إلا إذا لم يأمر بمعصيته، فإن أمر بمعصية فلا طاعة له كائنًا مَنْ كان؛ لأن المؤمن إنما يطيع الله ورسوله؛ لأن الله ﷻ يثيبه على ذلك وطاعته عبادة، فإذا أطاع غير الله في معصية الله فإنه معرض لعقاب الله تعالى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦٣﴾ [النور]. [الجهاد في سبيل الله: حقيقته وغايته ـ د/ عبد الله أحمد القادري ٢/ ٧٠].

وقد نهى الرسول ﷺ عن طاعة أحد في معصية الله ﷻ، كما في حديث ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ**». [البخاري في الأحكام (٧١٤٤)، ومسلم في الإمارة (١٨٣٩)].

وقد امتثل الصحابة ﷺ لهذا الأمر والتوجيه النبوي، فكانوا خير مَنْ طَبَّق ذلك عمليًا، وأقرهم ﷺ على ما فعلوه كما ثبت ذلك «عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ الأَنْصَارِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَغَضِبَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُطِيعُونِي؟! قَالُوا: بَلَى، قَالَ: قَدْ عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ لَمَا جَمَعْتُمْ حَطَبًا، وَأَوْقَدْتُمْ نَارًا، ثُمَّ دَخَلْتُمْ فِيهَا، فَجَمَعُوا حَطَبًا، فَأَوْقَدُوا نَارًا، فَلَمَّا هَمُّوا بِالدُّخُولِ! فَقَامَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا تَبِعْنَا النَّبِيَّ ﷺ فِرَارًا مِنْ النَّارِ، أَفَنَدْخُلُهَا؟! فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ خَمَدَتْ النَّارُ، وَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**». [البخاري في الأحكام (٧١٤٥)].

ومن خلال غزوة أُحد ودراسة أهمية وأثر طاعة ولي الأمر في صلاح الفرد والمجتمع واستقامة الأمور، فإن مما يُذَكَّر به الدعاة إلى الله ﷻ أن يكونوا قدوة لغيرهم في السمع والطاعة لولاة أمرهم في غير معصية الله ﷻ، وأن يكونوا ممن يقوم بتوضيح هذا الواجب للناس لما في ذلك من المصالح الكثيرة التي من أبرزها:

(١) **حفظ الدين**: لأن وحدة كلمة المسلمين تحت إمرة ولي الأمر بالسمع والطاعة في غير معصية الله يؤدي إلى حفظ الدين؛ إذ المقصد الأول: إقامة الدين، أي: جعله قائم الشعار على الوجه المأمور به من إخلاص الطاعات وإحياء السنن وإماتة البدع؛ ليتوفر العباد على طاعة المولى سبحانه.

ويكون حفظ الدين بنشره والدعوة إليه، وقد حرص الرسول ﷺ على تحقيق هذا المقصد وبيانه للناس من خلال ما جرى أثناء أحداث غزوة أُحد، وذلك بتوضيح أثر التنازع والتنافر على المسلمين.

(٢) **جمع الكلمة وعدم الفُرقة**: كما أن من غايات طاعة ولي الأمر جمع الكلمة وعدم الفرقة وتوحيد صفوف المسلمين، ولا يكون هذا إلا تحت قيادة واحدة، وقد ورد الأمر بذلك في كتاب الله ﷻ، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء].

وأمرهم بالاتحاد والالتفاف حول راية واحدة فقال ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣].

وحرَّم التنازع بينهم، وبيَّن أنه يفضي إلى الإخفاق والضعف، فقال ﷻ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال].

وحذرهم من أن يؤدي بهم الاختلاف إلى الفُرقة كما حدث في غزوة أُحد من الفئتين اللتين كادتا أن تفشلا ولكن الله عصمهما من ذلك، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران] إلى غير ذلك من المصالح الكثيرة، والله الموفق».

[غزوة أحد لبامدحج ٢٥٢-٢٥٦].

٤ ـ القائد يشارك جنوده في مواجهة العدو:

يقول د/ زيدان: «ذكرنا أن الرسول ﷺ شارك أصحابه في معركة أحد، حتى إنه ﷺ أصابته الجراح في وجهه الشريف، وكسرت رباعيته، وكان ﷺ ثابتًا عندما حلت الهزيمة بجيش المسلمين، وكان لثباته أكبر الأثر في رجوع الفارين والعود إلى مقاتلة المشركين.

يفهم من ذلك أن على أمير الجماعة المسلمة، جماعة الدعاة، أن يشارك أفراد جماعته من الدعاة وأنصارهم في مواجهتهم لخصوم الدعوة كلما كانت هذه المشاركة ضرورية، ولكن تقدير ذلك يرجع إلى أمير الجماعة وأهل الشورى في الجماعة، ويدل على ذلك أن النبي ﷺ لم يشارك في جميع الغزوات التي خاضها وقام بها المسلمون، إلا أنه ﷺ شارك في معظمها وفي كل الغزوات المهمة الخطيرة.

فعلى الجماعة المسلمة ملاحظة ذلك واتخاذ القرار المناسب في مسألة مشاركة أميرهم لأعضائها في مواجهة أعداء الدعوة بصورة مباشرة وظاهرة، في ضوء المصالح والمفاسد التي يمكن أن تترتب على

هذه المشاركة، ومعنى ذلك أن ليس من الضروري دائمًا أن يشارك أمير جماعة الدعاة أعضاءها في مواجهاتهم لأعداء الدعوة، وإنما يشاركهم كلما رأى ضرورة أو مصلحة ظاهرة في هذه المشاركة، ويدل أيضًا على ما نقول إضافة إلى ما قلناه، أن أبا بكر ومن بعده عمر بن الخطاب ﷺ لم يشاركا المسلمين في مواجهاتهم للكفار في حروب الردة وفي فتوحات العراق والشام». [المستفاد لزيدان ٢/ ٢١٣-٢١٤].

٥ ـ ثبات القائد وشجاعته من أعظم وسائل النصر:

ويقول أ/ عبَّاد: «ثبات النبي ﷺ في تلك المعمعة الشديدة وقتاله درس مهم نتعلم منه أن ثبات القيادة والقائد شيء في غاية الأهمية في الابتلاء والمحن في الدعوات، مهما كان نوع الابتلاء وقوته ودرجته سواء كان الابتلاء متعلقًا بقتال الأعداء في معارك ضارية أو كان الابتلاء في الأذى والتعذيب، وسواء كان الصف الإسلامي أو الجماعة المسلمة قوية أو كانت ضعيفة تتلقى الضربات وتوجه إليها الاعتداءات، حيث إن ثبات الجند مستمد من ثبات قائدهم، وقوة معنويات الجند مستمدة من قوة معنويات قائدهم ومن قوة عزيمتهم، فإذا فر القائد تخبط الجنود حيث فقدوا المخطِّط والموجِّه فيصبحون بلا هدف ولا غاية ولا خطة.. هذا كله في القتال أما في غير القتال فيبقى القائد قدوة يقتدي الناس به خاصة أتباعه، يصبرون إذا صبر ويثبتون إذا ثبت ويتحدون بمعنوياتهم العالية الطواغيت على قسوتهم ووحشيتهم.

وشتان بين قائد العقيدة وقائد الدنيا، فمثل الأول في العصر الحديث **الشهيد سيد قطب** عضو جماعة الإخوان المسلمين الذي طُلب منه أن يكتب اعتذارًا ـ بعد أن حُكم عليه بالإعدام ـ لكي لا يُعدم فقال: **عن أي شيء أعتذر، أأعتذر عن العمل مع الله، إن تلك الأنامل التي كتبت كتاب الله لا تكتب اعتذارًا لظالم،** ووُضعت له خُطة لكي يهرب من السجن وينجو بنفسه فرفضها حتى لا يفتن الشباب الصامد في سجنه.

ومثل الثاني **عبد الله أوجلان** الزعيم الكردي الذي ظل قائدًا لحزبه يقاتل به تركيا حتى أراق دماءً كثيرة من الشعب التركي ومن شعبه الكردي فلما وُضع في السجن وأحس بمواجهة الموت ـ الإعدام ـ ظل يعتذر لتركيا ويتوسل ألا يعدموه ويتركوه لكي يصلح ما أفسده.

وشتان بين طالب دنيا وطالب دين.

لذلك فعلى قادة الفئة المؤمنة في كل زمان ومكان أن يدركوا قيمة ثبات القائد وأثره في العمل الإسلامي وفي نفوس الشباب، وعليهم أن يوطنوا أنفسهم على ما سيلاقونه من تعذيب وفتنة وابتلاء، ويتقدموا الصفوف إذا حزب الأمر وادلهمت الخطوب، وعليهم أن يستعينوا بالله كي يمدهم بمدد من عنده ويثبتهم على الطريق حتى تستمر المسيرة وتصل إلى أهدافها، فإنه وحده مصرف القلوب ومثبتها على الخير والرشاد والهدى والسداد». [مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ١٠٦-١٠٧].

٦ ـ إيثار الدنيا على الآخرة يوقع في الخطيئة:

يقول د/ زيدان: «وذكرنا من قبل أن الرماة الذين أوقفهم النبي ﷺ على الجبل لحماية ظهور المسلمين من التفاف العدو عليهم، هؤلاء الرماة اختلفوا فيما بينهم، فأكثرهم أراد النزول واللحاق بالمسلمين طلبًا للغنيمة؛ لما ظنوا من انهزام المشركين أمام المسلمين، وقلة من الرماة رفضوا ترك أماكنهم تمسكًا بأمر رسول الله ﷺ، ثم كان ما كان من التفاف المشركين وضربهم من ورائهم.

إن في هذا الذي حدث لعبرة عظيمة للدعاة وتعليمًا لهم: بأن حب الدنيا قد يتسلل إلى قلوب المؤمنين، ويخفى عليهم، فيؤثرون الدنيا ومتاعها على الآخرة ومتطلبات الفوز بنعيمها، ويعصون أوامر الشرع الصريحة كما عصى الرماة أوامر رسول الله ﷺ الصريحة بتأويل ساقط، يرفعه هوى النفس وحب الدنيا، فيخالفون الشرع وينسون المحكم من أوامره، كل هذا يحدث ويقع من المؤمن وهو غافل عن دوافعه الخفية، وعلى رأسها حب الدنيا، وإيثارها على الآخرة ومتطلبات الإيمان، وهذا يستدعي من الدعاة التفتيش الدائم الدقيق في خبايا نفوسهم واقتلاع حب الدنيا منها؛ حتى لا تحول بينهم وبين أوامر الشرع، ولا توقعهم في مخالفته بتأويلات ملفوفة بهوى النفس، وتلفتها إلى الدنيا ومتاعها، عن عبد الله بن مسعود ﷺ كما يذكر ابن كثير في تفسيره، قال: ما كنت أرى أن أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى نزل فينا ما نزل يوم أحد ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾[آل عمران: ١٥٢].

وحب الدنيا لا يقف عند حب متاعها المادي، وإنما يشمل متاعها المعنوي، وعلى رأس هذا المتاع حب السلطة والرياسة، فليحذر الدعاة من ذلك لئلا يقعوا في مخالفة أوامر جماعتهم المسلمة بحجة إرادة الخير والنصح لها ومصلحة الدعوة، والحقيقة أنهم يتحركون بدافع هوى النفس وحب الدنيا، والمقياس لمعرفة دوافعهم فيما يقولون ويفعلون، وهل هي دوافع الهوى وحب الدنيا؟ هذا المقياس هو: هل يسرهم أن يتولى الرياسة ـ أية رياسة ـ غيرهم ويكتفوا بأن يكونوا جنودًا مغمورين قانعين بعلم الله بهم وبالأجر والثواب من عنده؟ أم لا يقتنعون بذلك؛ بل يريدون الظهور والرياسة؟ وهل يحزنهم إعطاء الرياسة ـ في مجال الدعوة وأعمالها ـ لغيرهم أم يسرهم ذلك لتخلصهم من المسؤولية؟ وهل يستمرون في جهادهم واندفاعهم فيه إذا أعطيت الرياسة لغيرهم ولو رياسة أسرة أو حلقة من أسر وحلقات الدعاة؟ وأذكرهم بشيئين قد يفيدهم في اختبارهم لأنفسهم ومدى تعلقهم بالدنيا:

الشيء الأول: إن الحريص على أجر صلاة الجماعة لا يهمه مَنْ يكون الإمام في الصلاة ما دام هو يصلي مع الجماعة ويظفر بأجر الصلاة فيها.

الشيء الثاني: إن خالد بن الوليد ﷺ وهو في أوج انتصاراته وجهاده في سبيل الإسلام يأتيه أمر عزله من قيادة الجيش من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، فلم يؤثر ذلك العزل في جهاده واندفاعه

فيه، بل قال قولته المشهورة: «**أنا لا أقاتل في سبيل أبي بكر ولا في سبيل عمر، وإنما أقاتل في سبيل الله**»، ورضي أن يصير جنديًّا لا قائدًا». [المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ١٩٨].

ويقول د/ السباعي: «الطمع المادي في المغانم وغيرها يؤدي إلى الفشل فالهزيمة، كما حصل في معركة أحد حينما ترك الرماة مواقفهم طمعًا في إحراز الغنائم، وكما حصل في معركة حنين حين انتصر المسلمون في أولها، فطمع بعضهم في الغنائم، وتركوا تتبع العدو، مما أدى إلى عودة العدو وهجومه على المسلمين، فانهزموا، ولولا ثبات الرسول ﷺ والمؤمنين الصادقين حوله، لما تحولت الهزيمة بعد ذلك إلى نصر مبين.

وكذلك الدعوات يفسدها ويفسد أثرها في النفوس طمع الداعين إليها في مغانم الدنيا، واستكثارهم من مالها وعقارها وأراضيها.

إن ذلك يحمل الناس على الشك في صدق الداعية، فيما يدعو إليه، واتهامه بأنه لا يقصد من دعوته وجه الله ﷻ، وإنما يقصد جمع حطام الدنيا باسم الدين والإصلاح، ومثل هذا الاعتقاد في أذهان الناس صد عن دين الله، وإساءة إلى كل من يدعو إلى الإصلاح عن صدق وإخلاص».

[السيرة النبوية: دروس وعبر للسباعي ١١٥-١١٦].

٧ ـ عدم تعلق الدعاة بالأشخاص:

يقول د/ بامدحج: «بعد أن انكشف ظهر المسلمين بترك أماكنهم من الجبل، فركبه المشركون، وأوقعوا بالمسلمين، وكُسرت رُباعية الرسول ﷺ وشُج وجهه، ونزفت جراحه، واختلطت الأمور، وتفرق المسلمون، لا يدري أحدهم مكان الآخر ... حينئذ نادى مناد: **أن محمدًا قد قُتل**، وكان لهذه الصيحة وقعها الشديد على المسلمين، فانقلب الكثيرون منهم عائدين إلى المدينة، مُصعدين في الجبل منهزمين، تاركين المعركة يائسين، لولا أن ثبتَ رسول الله ﷺ في تلك القلة من الرجال، قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران]، بينت الآية الكريمة أن محمدًا ﷺ ليس إلا رسولًا، سبقته الرسل في الأمم الماضية، وإنما جاء محمد ﷺ لكي يبلغ ما أمره الله به، قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة]، جاء ليبلغ دين الله ﷻ الباقي وليقرر منهج الله في هذه الحياة؛ ليبقى على مدار التاريخ، كما جاء ليبين للناس أن هذه الدعوة باقية على مدار التاريخ إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها.

وما حدث في غزوة أُحُد كان تشريعًا من الله ﷻ لكي يبقى الناس موصولين بالمصدر الأول الذى أَرسل الرسلَ، وموصولين بالدعوة على مر الأجيال والقرون، فالذى حدث في هذه الغزوة بيَّن للناس

جميعًا أن الرسول ﷺ ما هو إلا بشر وسيموت كما مات مَنْ جاء من قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام، وما ينبغي لهم أن يتعلقوا بشخص الرسول ﷺ، وإنما يجعلوا تعلقهم بالدعوة الإسلامية مباشرة؛ لذا جاءت الآية الكريمة: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ مقررة منهجًا عامًّا للمسلمين وهو عدم الارتباط بالدعاة، وإنما ينبغي لهم أن يرتبطوا بالله ﷻ بلا وسيط، وأن يجعلوا الدعوة الإسلامية هي المتعلق به، وألا يتعلقوا بشخص من الأشخاص مهما كانت مكانته وارتفعت منزلته.

ولعل ما حدث أثناء أحداث الغزوة حينما أُشيع عن مقتل رسول الله ﷺ وما وقع للصحابة رضي الله عنهم واضطرابهم، واختلال الخطة التي رسمها لهم رسول الله ﷺ، وانشغالهم بجمع الغنائم ثم اضطراب صفوفهم، وتفرق المسلمون ودخل بعضهم المدينة، وانطلقت طائفة منهم فوق الجبل، واختلطت على الصحابة أحوالهم، فما يدرون كيف يفعلون من هول الفاجعة.

كل ذلك كان بسبب عدم التفريق بين الرسول والرسالة وبين الداعية والدعوة، بل بين المبلِّغ والمبلَّغ قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران]، فالرسول ﷺ هنا يأمر باتباعه على المنهج نفسه الذي يسير عليه: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [الأعراف]، أي من عند الله لا من عند نفسي. [تفسير القرطبي ٧/ ٢٢٤].

قال ابن كثير رحمه الله: «لما انهزم مَن انهزم من المسلمين يوم أُحُد وقُتل مَنْ قُتل منهم، نادى الشيطان: ألا إن محمدًا قد قُتل ، ورجع ابن قميئة إلى المشركين، فقال لهم: قتلتُ محمدًا، وإنما كان قد ضرب رسول الله ﷺ فشجه في رأسه، فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس، واعتقدوا أن رسول الله ﷺ قد قُتل، وجَوَّزوا عليه ذلك، كما قد قص الله عن كثير من الأنبياء عليهم السلام، فحصل ضعف ووهن وتأخر عن القتال، ففي ذلك أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ أي له أسوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه، قال ابن أبي نجيح عن أبيه: أن رجلًا من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه فقال له: يا فلان، أشعرتَ أن محمدًا ﷺ قد قُتل، فقال الأنصاري: إن كان محمد قد قُتل فقد بلَّغ، فقاتلوا عن دينكم، فنزل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾. رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة [٣/ ٢٤٨].

ثم قال تعالى مُنكرًا على من حصل له ضعف: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ أي رجعتم القهقرى!». [تفسير ابن كثير ١/ ٤٤١].

لقد كان من أسباب البلاء والمصائب التي حدثت للمسلمين يوم أُحُد أنهم ربطوا إيمانهم وعقيدتهم ودعوتهم إلى الله تعالى لإعلاء كلمته بشخص رسول الله ﷺ ... فهذا الربط بين عقيدة الإيمان بالله ربًّا معبودًا وحده وبين بقاء شخص النبي ﷺ خالدًا فيهم خالطه الحب المغلوب بالعاطفة، الربط بين الرسالة الخالدة وبين الرسول ﷺ البشر الذي يلحقه الموت كان من أسباب ما نال الصحابة رضي الله عنهم من الفوضى والدهشة والاستغراب.

ومتابعة الرسول ﷺ أساس وجوب التأسي به في الصبر على المكاره، والعمل الدائب على نشر الرسالة، وتبليغ الدعوة ونصرة الحق، وهذا التأسي هو الجانب الأغر من جوانب منهج رسالة الإسلام؛ لأنه الدعامة الأولى في بناء مسيرة الدعوة لإعلاء كلمة الله ونشرها في آفاق الأرض، وعدم ربط بقاء الدين واستمرار الجهاد في سبيله ببقاء شخص النبي ﷺ في هذه الدنيا لا يلحقه فناء بموت أو قتل، وإيجاب متابعة الرسول ﷺ والتأسي به علمًا وعملًا هما الوشيجة العظمى لتماسك المجتمع المسلم ولا سيما الدعاة الى الله من أتباعه. [ينظر: محمد رسول الله ﷺ للشيخ محمد الصادق عرجون ٣/ ٦١٦].

قال ابن القيم رحمه الله: «إن وقعةَ أُحُدٍ كانت مُقَدِّمَةً وإرهاصًا بين يدي موتِ رسول الله ﷺ، فثبَّتهم، ووبَّخهم على انقلابهم على أعقابهم أَنْ ماتَ رسولُ الله ﷺ، أو قُتِلَ، بل الواجبُ له عليهم أن يثبتُوا على دِينه وتوحِيدِهِ ويموتوا عليه، أو يُقتلُوا، فإنهم إنما يعبدُون ربَّ محمد، وهو حيٌّ لا يموت، فلو ماتَ محمد أو قُتِلَ، لا ينبغي لهم أن يَصْرِفَهم ذلِكَ عن دينه، وما جاء به، فكلُّ نفسٍ ذائِقةُ الموت، وما بُعِثَ محمد ﷺ لِيخلَّد، لا هُوَ ولا هُم، بل لِيمُوتُوا على الإسلامِ والتَّوحيدِ، فإن الموت لا بُدَّ منه، سواء ماتَ رسول الله ﷺ أو بَقِيَ؛ ولهذا وبَّخَهُم على رجوع مَنْ رجع منهم عن دينه لما صرخ الشَّيْطَانُ: إنَّ محمدًا قد قُتِلَ، فقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران]، والشاكرون: هم الذين عرفوا قَدْر النعمة، فثبتوا عليها حتى ماتوا أو قُتِلُوا، فظهر أثرُ هذا العِتَابِ، وحكمُ هذا الخطاب يومَ مات رسولُ الله ﷺ، وارتدَّ مَن ارتدَّ على عقبيه، وثبت الشاكِرُون على دينهم، فنصرهم الله وأعزَّهم وظفَّرهم بأعدائهم، وجعل العاقبة لهم». [زاد المعاد ٣/ ٢٢٤].

وقال القرطبي: «فهذه الآية من تَتِمَّة العِتاب مع المنهزِمين ، أي لم يكن لهم الانهزام وإن قتل محمدٌ، والنبوَّة لا تَدْرَأ الموت ، والأديان لا تزول بموت الأنبياء. والله أعلم». [تفسير القرطبي ٤/ ٢٢٢].

وكلامه رحمه الله هذا نفيس جدًّا، فالذين ظنوا من قبل أن الإسلام قد انتهى بموت النبي ﷺ، والذين يظنون أن ظهور الإسلام ودعوته متوقف على شخص بعينه، فهؤلاء وأولئك قد أخطؤوا ولم يُقدِّروا هذا

الدين قدره، ولم يوفوه حقه؛ لأن ظهور هذا الدين وهيمنته على كل الأديان هو قَدَر الله ﷻ وسنته، ولن تجد لسنة الله تبديلًا، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة]، فسبب ظهور هذا الدين أنه حق وأنه هدى. [**مرض النبي ﷺ ووفاته وأثر ذلك على الأمة ـ دراسة تحليلية توثيقية ـ أ/ خالد أبو صالح ص ٢٠ ـ دار الوطن ـ الرياض ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م**].

في غزوة أُحُد نزل التشريع الإلهي بالعتاب على ما حدث منهم أثناء أحداث غزوة أُحُد، وعند موت الرسول ﷺ جاء التطبيق العملي حيث «إِنَّ أَبَا بَكْرٍ ﷺ أَقْبَلَ عَلَى فَرَسٍ مِنْ مَسْكَنِهِ بِالسُّنْحِ (العالية، وهو مسكن زوجة أبي بكر ﷺ، وهو منازل بني الحارث من الخزرج، وكان أبو بكر ﷺ متزوجًا فيهم. ينظر: فتح الباري ٣/ ١٣٨ شرح الحديث رقم ١٢٤١، ١٢٤٢، ٧/ ٢٣ شرح الحديث ٣٦٦٧) حَتَّى نَزَلَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَلَمْ يُكَلِّمْ النَّاسَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ ﷺ فَتَيَمَّمَ (قصد) رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ مُغَشًّى بِثَوْبِ حِبَرَةٍ (نوع من برود اليمن مخططة غالية الثمن) فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ وَبَكَى، ثُمَّ قَالَ: **بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، وَاللهِ لَا يَجْمَعُ اللهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ، أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا**.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَحَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ ﷺ خَرَجَ وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ يُكَلِّمُ النَّاسَ فَقَالَ: اجْلِسْ يَا عُمَرُ، فَأَبَى عُمَرُ ﷺ أَنْ يَجْلِسَ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَتَرَكُوا عُمَرَ ﷺ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَمَّا بَعْدُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَالَ اللهُ: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾** ﴾ [آل عمران]، وَقَالَ: وَاللهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الآيَةَ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ ﷺ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا، فَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ عُمَرَ ﷺ قَالَ: وَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ ﷺ تَلَاهَا فَعَقِرْتُ (أي دهشت وتحيرت، ويُقال: سقطت، وأما بضم العين: أي هلكت. فتح الباري ٧/ ٧٥٣) حَتَّى مَا تُقِلُّنِي رِجْلَايَ، وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلَاهَا، عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ مَاتَ». [**البخاري في المغازي (٤٤٥٢، ٤٤٥٣)**].

قال ابن رجب ﷺ: «ولما توفي ﷺ اضطرب المسلمون، فمنهم من دُهش فخربط، ومنهم من أقعد فلم يُطق القيام، ومنهم من اعتُقِل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم مَنْ أنكر بالكلية».

[**لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ـ الإمام ابن رجب الحنبلي ص ١٢٣ ـ ط المكتب الإسلامي ومؤسسة الريان ـ بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م**].

قال ابن عبد البر ﷺ: «ولم يصدق عمر ﷺ بموته، وأنكر على مَنْ قال: مات، وخرج إلى المسجد، فخطب وقال في خطبته: إن المنافقين يقولون: إن رسول الله ﷺ توفي، والله ما مات رسول الله ﷺ، ولكنه

ذهب إلى ربه كما ذهب موسى عليه السلام، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم، والله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى عليه السلام، فليُقَطِّعَنَّ أيدي رجال وأرجلهم، زعموا أن رسول الله ﷺ مات».

[الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ٣٣٠-٣٣١ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، وأخرج خطبة عمر رضي الله عنه: الدارمي في السنن ١/ ٥٢، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٢/ ٢٦٦، وعبد الرزاق بن همام الصنعاني في المصنف ٥/ ٤٣٣ ط المكتب الإسلامي ـ بيروت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٢م].

وقال القرطبي رحمه الله: «فأَعْلَمَ اللهُ تعالى في هذه الآية أن الرسل ليست بباقيةٍ في قومها أبدًا، وأنه يجب التمسك بما أتت به الرسل، وإن فُقِد الرسول بموتٍ أو قتلٍ». [تفسير القرطبي ٤/ ٢٢٢].

وقال ابن العربي رحمه الله: «بعد أن استأثر الله عز وجل بنبيه ﷺ وقد أكمل له ولنا دينه، وأتم عليه وعلينا نعمته، كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، وما من شيء في الدنيا يكمل إلا وجاءه النقصان؛ ليكون الكمال الذي يراد به وجه الله خاصة، وذلك العمل الصالح والدار الآخرة، فهي دار الله الكاملة، قال أنس رضي الله عنه: ما نفضنا أيدينا من تراب قبر رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا.

واضطربت الحال ثم تدارك الله الإسلام ببيعة أبي بكر رضي الله عنه، فكان موت النبي ﷺ (قاصمة الظهر) ومصيبة العمر، فأما علي رضي الله عنه فاستخفى في بيته مع فاطمة، وأما عثمان رضي الله عنه فسكت، وأما عمر رضي الله عنه فأهجر، وقال: ما مات رسول الله ﷺ وإنما واعده الله كما واعد موسى عليه السلام، وليرجعن رسول الله ﷺ فليقطعن أيدي ناس وأرجلهم.

واضطرب أمر الأنصار يطلبون الأمر لأنفسهم أو الشركة فيه مع المهاجرين، وانقطعت قلوب الجيش الذي كان قد برز مع أسامة بن زيد رضي الله عنه بالجرف.

[العواصم من القواصم في تحقيق موقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ ـ الإمام أبو بكر بن العربي المالكي (٥٤٣هـ) ـ تحقيق وتعليق أ/ محب الدين الخطيب ص ٣٧-٤٠ ـ دار الكتب العلمية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م].

وقد بيَّن الحافظ ابنُ كثير عظيمَ الخطب، وشدة البلاء، واضطراب الأمر، فقال مصورًا حال المسلمين: فاشتدت الرزية بموته ﷺ وعظم الخطب، وجلَّ الأمر، وأُصيب المسلمون بنبيهم ﷺ، وأنكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك، وماج الناس وجاء الصديق المؤيد المنصور رضي الله عنه أولًا وآخرًا وظاهرًا، فأقام الأود، وصدع بالحق وخطب الناس، وتلا عليهم قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران]. [الفصول في سيرة الرسول ﷺ ـ للحافظ أبي الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ـ تحقيق/ سيد بن عباس الجليمي ص ١٥٠ ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م].

وإن ما حدث في غزوة أُحُد من ابتلاء وتمحيص واختبار إنما هو درس للدعاة إلى الله تعالى؛ ليستفيدوا منه في مستقبل الدعوة الإسلامية، وليتخذوا نبراسًا لهم في دعوتهم، فلا يربطوا الدعوة بالداعية ويخلطوا بين شخص الداعية في الدعوة وبين ما يدعو إليه ذلك العالِم أو الداعية، فيعملوا ويجتهدوا لحفظ الدين، ونشر الدعوة في أرجاء الأرض، ويبتعدوا عن شر جائحات الفتن، ومزالق الأفكار التي تجرهم إلى الفُرقة والتمزق وبالتالى تقضي على مواهب الرجال، وتوهن عزائم الدهاة، وتخلخل إرادات أولي العزم من ذوى الجأش والقوة، وهذا هو ما يريده أعداء الدعوة في كل مكان وزمان، إن الربط بين بقاء محمد ﷺ وبين بقاء الدعوة إلى الله والجهاد في سبيلها يتعدى حقيقة بشرية محمد ﷺ فيخرجه في توهم الذين وقفوا موقف الهزة الإيمانية عن كونه بشرًا مثل سائر البشر، يلحقه ما يلحق البشر، ومنها الموت بعد استيفاء الأجل المكتوب له، كما لحق إخوانه المرسلين قبله.

[ينظر: محمد رسول الله ﷺ ـ الشيخ محمد الصادق عرجون ٣/ ٦١٣]». [غزوة أُحد لبامدحج ١٨٦-١٩٥].

٨ ـ موت القائد لا يوقف الجهاد والدعوة إلى الله:

يقول د/ زيدان: «وقد تُبتلى الجماعة المسلمة بموت قائدها أو بقتله، وهو ابتلاء شديد، لكن على شدته لا يجوز أن يوقف جهاد الجماعة المسلمة، وعليها أن تقابل هذا الابتلاء بالصبر الجميل وبالثبات على المعاني التي جاهد من أجلها أميرهم وقائدهم، فإنهم إذا فقدوا قائدهم وغيب الثرى جسده الطاهر عنهم فإن دعوته باقية لا تموت، إن جماعة المصلين في مسجد المحِلَّة لا توقف الصلاة ولا صلاة الجامعة إن مات إمام المسجد، وهكذا يجب أن يفعل الدعاة والجماعة المسلمة إذا فقدوا أميرهم فلا يوقفوا جهادهم، وقد حذر الشرع الصحابة الكرام من إيقاف الجهاد في سبيل الله لموت رسول الله ﷺ أو قتله فقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران].

وجاء في تفسيرها: إن الرسل ليست باقية في أقومها أبدًا، فكل نفس ذائقة الموت، ومهمة الرسول تبليغ ما أُرسل به وقد فعل، وليس من لوازم رسالته البقاء دائمًا مع قومه، فلا خلود لأحد في هذه الدنيا، ثم قال تعالى منكرًا على مَنْ حصل له ضعف لموت النبي ﷺ أو قتله، فقال تعالى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ أي: رجعتم القهقرى، وقعدتم عن الجهاد، والانقلاب على الأعقاب يعني الإدبار عما كان رسول الله ﷺ يقوم به من أمر الجهاد ومتطلباته ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ الذين لم ينقلبوا أو ظلوا ثابتين على دينهم متبعين رسوله حيًّا أو ميتًا».

[المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ١٩٩-٢٠٠].

٩ ـ تأسي الدعاة بمن لم يدهشهم موت النبي ﷺ أو قتله:

يقول د/ زيدان: «وإذا ابتليت جماعة الدعاة بموت أو قتل أميرهم فأصاب بعضهم الذهول واعترتهم الدهشة، وأفقدتهم توازنهم، فلتكن قدوتهم بمن ثبت بالرغم من سماعه خبر قتل النبي ﷺ، فقد ثبت بعض المسلمين في معركة أحد عندما نادى المنادي من المشركين بأن محمدًا قد قتل، وأثر هذا النداء في بعض المسلمين في معركة أحد عندما نادى المنادي من المشركين بـأن محمدًا قد قتل، وأثر هذا النداء في بعض المسلمين أو في كثير منهم وفر من فر من المسلمين وثبت بعضهم، ومنم أنس بن النضر عم أنس بن مالك فقال: **يا قوم، إن كان قُتل محمد فإن رب محمد حي لا يموت، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ﷺ فقاتلوا على ما قاتل عليه، وموتوا على ما مات عليه**، ثم شد بسيفه على الكفار فقاتل حتى قُتل.

وعن بعض المهاجرين: أنه مر بأنصاري وقد علاه دم جراحه، فقال: **يا فلان، أشعرت أن محمدًا قـد قُتل؟** فقال: **إن كان قُتل فقد بلغ الرسالة، قاتلوا على دينكم.**

وعندما مات رسول الله ﷺ وأصاب المسلمين الذهول حضر أبو بكر ﷺ والناس في هرج وهلع، فلم يكلم أحدًا، ودخل إلى بيت عائشة ﷺ وكشف عن وجهه رسول الله ﷺ وقبَّله من وجهه الشريف وبكى، وعلِم أنه قد مات، فخرج إلى الناس في المسجد وخطب فيهم وقال فيما قاله: **من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت**، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران]، فكان ذلك من أبي بكر ﷺ موقفًا وثباتًا عظيمًا ثبت الله به المسلمين.

فعلى الدعاة أن يستحضروا في أنفسهم سيرة الصحابة الكرام ﷺ الذين ثبتوا عند سماعهم خبر قتل محمد ﷺ وهم في المعركة، وعمل أبي بكر ﷺ عندما تيقن موت النبي ﷺ وليعلموا أو يستحضروا هذا المعلوم في أنفسهم، وهو أن البشر إلى فناء، وأن العقيدة إلى بقاء، ومنهج الله للحياة مستقل في ذاته عن الذين يحملونه ويؤدونه إلى الناس من الرسل والدعاة على مدار التاريخ.

إن الدعوة أقدم من الداعية، وهي أكبر من الداعية وأبقى من الداعية، فدعاتها يجيؤون ويذهبون وتبقى هي على الأجيال والقرون ويبقى أتباعها موصولين بمصدرها الأول وهو الله الحي القيوم الذي لا يموت. [الظلال ١/ ٤٨٥]». [المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ٢٠٠-٢٠١].

١٠ ـ القيادات الإسلامية هدف للاغتيال:

يقول أ/ عبَّاد: «وهكذا صُرع الأسد حمزة ﷺ، لا كما تُصرع الأبطال وجهًا لوجه في ميدان القتال، وإنما كما يُغتال الكرام في حالك الظلام، فقد كان شجعان العرب جميعًا يدركون أن مواجهة حمزة بن عبد

المطلب ﷺ ليست بالأمر الهين، فشهرته الحربية واستفاضة ضراوته في القتال جعلت فرائص هؤلاء الشجعان ترتعد لمجرد التفكير في ملاقاته؛ لهذا لجأوا إلى طريق الاغتيال، وما عسى أن تُغني الشجاعة حين يختبئ الاغتيال في ظلام الليل؟

وهكذا في كل العصور، حيث الاغتيال هو الوسيلة التي يستخدمها أصحاب المبادئ الدنيئة تجاه قيادات الجماعة المسلمة في الماضي والحاضر». [مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٨٧].

١١ ـ حب أفراد الصف لقيادتهم والحرص على حياته:

يقول د/ زيدان: «الدفاع عن قائد الجماعة المسلمة أمرٌ مطلوب شرعًا؛ لأنه يقوم بجماعته بحماية الدين ونصرته، فهو كُرَّبان السفينة، حمايته حماية للسفينة ولركابها، وقد ذكرنا دفاع المسلمين عن نبيهم وقائدهم ﷺ في معركة أحد، مما يشير إلى ضرورة حماية قائد الجماعة؛ لأن بحمايته حماية لجماعته ولاستمرارها في عملها المبرور في نُصرة الإسلام، وقد يكون من المفيد للدعاة ذكر بعض مظاهر دفاع الصحابة الكرام عن نبيهم وقائدهم ﷺ لما في ذكر هذه الوقائع من أمثلة لمحبتهم لنبيهم ﷺ، ومن إشارة إلى وجوب حماية إمام المسلمين ومن دونه ممن يتولَّوْن إمرة جماعة تنصر الإسلام وتدعو إليه، فمن وقائع دفاع المسلمين عن النبي ﷺ ما ذكرناه من قبل». [المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ١٩٩].

ويقول أ/ عبَّاد: «إن الرسول ﷺ لم يكلف أحدًا حراسته بصفة خاصة، ولكن الصحابة أدركوا أن من حقوق القيادة ما دامت تقود المسلمين بأوامر الله، وتحكمهم بكتاب الله، وتأخذ بأيديهم إلى الخير، وتهديهم إلى الرشد، فحينئذ تجب حمايتها ومناصرتها وتأييدها وبذل أقصى الجهد في مؤازرتها؛ لأن في تأييدها ومؤازرتها تأييدًا للحق ومؤازرة للخير، وتلك هي مهمة المسلمين وغايتهم في هذه الحياة.

وقد تأخذ المناصرة للقيادة صورًا شتى حسبما يقتضيه الموقف وتدعو إليه الضرورة، فتارة بالوقوف إلى جانبها، وتارة بالدفاع عنها باللسان مرة وبالسنان مرة، وتارة أخرى ببذل الأموال والأنفس في سبيل الحفاظ عليها، وكل هذا حق للقيادة الرشيدة لما قدمته من جهد وما بذلته من تضحيات».

[مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٢٨].

ويقول أ/ عبَّاد أيضًا: «استبدل الرسول ﷺ لأمته مع كعب ﷺ؛ لأن المشركين عرفوه ـ رغم المغفر ـ فقصد النبي ﷺ أن يعمي عليهم، وهذا من الأخذ بالأسباب، ولتعلم الجماعة المسلمة أن حفظ القيادات في المعارك وغيرها أمر مهم في الإسلام». [مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ١١٦].

١٢ ـ الدعاة يصيبهم الأذى:

يقول د/ زيدان: «وليكن معلومًا لدى الدعاة إلى الله أنه لا يلزم من كونهم على الحق ويدعون إلى الحق ألا يصيبهم أذى من أعداء الله، ويكفي للدلالة على ذلك أن رسول الله ﷺ وهو حامل الحق

ومبلغه للخلق أصابه من الأذى من المشركين في مكة قبل الهجرة وبعدها في معركة أحد التي نتكلم عليها الآن، حيث قد شُج وجهه الشريف وكسرت رباعيته وجرحت وجنته وشفته السفلى من باطنها، ووهِيَ منكبه من ضربة ابن قمئة وجحشت ركبته.

كما أصاب أصحابه الكرام من أذى المشركين في مكة قبل الهجرة وبعدها في معركة أحد التي نتكلم عليها الآن، فقُتل من قتل منهم، وجُرح من جرح، وهم خير خلق الله بعد رسله تعالى، فلا عجب ولا غرابة أن يَلْقى الدعاة في وقتنا الحاضر أنواع الأذى من أعداء الدعوة، سواء كان هذا الأذى بدنيًّا من القتل إلى ما دونه، أو كان هذا الأذى معنويًّا من إلصاق التهم بهم وتشويه سمعتهم إلى غير ذلك، فعلى الدعاة ألا تضعف عزائمهم في جهادهم وقيامهم بما تتطلبه الدعوة، بل ينبغي أن يحملهم ذلك على مضاعفة جهودهم في الدعوة إلى الله، وأن يعتبروا ما يَلْقونه من أذى من أعداء الدعوة علامة على إيمانهم؛ لحديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه الترمذي وغيره عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: قُلتُ: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَالَ: «**الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**». [الترمذي في الزهد (٢٣٩٨)، وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح، وابن ماجه في الفتن (٤٠٢٣)، والدارمي في الرقاق (٢٨٢٥)، وأحمد عن سعد بن أبي وقاص ﷺ (١٤٨٤، ١٤٩٧، ١٥٥٨، ١٦١٠) وقال الشيخان أسد والأرناؤوط: إسناده حسن].

وعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ حُذَيْفَةَ عَنْ عَمَّتِهِ فَاطِمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَتَيْنَا رَسُولَ الله ﷺ نَعُودُهُ فِي نِسَاءٍ، فَإِذَا سِقَاءٌ مُعَلَّقٌ نَحْوَهُ يَقْطُرُ مَاؤُهُ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ مَا يَجِدُ مِنْ حَرِّ الحُمَّى، قُلنَا: **يَا رَسُولَ الله، لَوْ دَعَوْتَ اللهَ فَشَفَاكَ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**». [مسند أحمد عن فاطمة عمة أبي عبيدة وأخت حذيفة رقم ٢٦٥٣٩، والحاكم ـ صحيح الجامع الصغير: ١٥٦٢، وفي رواية الطبراني في المعجم الكبير: «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءَ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ». صحيح الجامع الصغير ٩٩٤، ٩٩٦، وينظر: صحيح الجامع رقم ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٥].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَثَلُ المُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ لا تَزَالُ الرِّيحُ تُمِيلُهُ [تُفِيئُهُ]، وَلا يَزَالُ المُؤْمِنُ يُصِيبُهُ البَلاءُ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الأَرْزِ لا تَهْتَزُّ حَتَّى تَسْتَحْصِدَ**».

[مسلم في صفة القيامة والجنة والنار (٢٨٠٩)، والترمذي في الأمثال (٢٨٦٦)]. [المستفاد لزيدان ٢/ ٢١٣].

ويقول د/ السباعي: «وفي إصابة رسول الله ﷺ بالجراح يوم أحد عزاءٌ للدعاة فيما ينالهم في سبيل الله من أذى في أجسامهم، أو اضطهاد لحرياتهم بالسجن والاعتقال، أو قضاءٍ على حياتهم بالإعدام والاغتيال، وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا

يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت]».

[السيرة النبوية: دروس وعبر للسباعي ص ١١٦].

ويقول أ/ عبَّاد: «وليعلموا أن السابقين مروا بما يمر به اللاحقون، فخباب بن الأرت رضي الله عنه عُذب بالنار حتى أطفأوها بودك - أي لحم ودهن - ظهره، وعمار بن ياسر رضي الله عنه حُرق بالنار حتى كان الرسول ﷺ يمر به ويضع يده على رأسه ويقول: **يا نار كوني بردًا وسلامًا على عمار كما كنت على إبراهيم** [لم أجد هذا القول فيما بين يدي من المصادر. غريب]، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه ضُرب بالنعال حتى ما يُعرف وجهه من أنفه، والزبير بن العوام رضي الله عنه عُلق داخل حصير ودخن عليه بالنار، والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه عُذب حتى خُلعت يداه، وجُلد بالسياط حتى ذهب عقله، وكُب على وجهه وطُرح على ظهره وديس عليه، وهو ثابت كالطود الأشم لا يتراجع أبدًا.

حتى النساء عُذبن، فسمية أم عمار عُذبت حتى قُتلت، وزنيرة فقدت بصرها، والنهدية وابنتها عذبتا، وعُذبت زينب الغزالي الجبيلي فكانت تُعلق وتُجلد في المرة الواحدة خمسمائة جلدة ويترك عليها الكلاب لتنهش لحمها، وحُكم عليها بالأشغال الشاقة المؤبدة ٢٥ عامًا مع مصادرة أموالها.

كل هذا من أنواع التعذيب التي لاقاها الدعاة من بني جلدتهم، ولكنهم كانوا كالذهب إذا أُدخل الكير يخرج ذهبًا أحمر لا خبث فيه». [مفاهيم تربوية لعبَّاد ١٢٨-١٢٩].

١٣ - مداومة تذكير العاملين للإسلام بما يثبتهم على الطريق:

يقول د/ زيدان: «وعلى جماعة الدعاة أن تذكرهم وتذكر سائر العاملين للإسلام، تذكرهم بما يثبتهم على الإسلام وعلى الدعوة إليه، وعلى متطلبات الدعوة والصمود أمام أعدائهم، وقد ذكرنا كيف أن النبي ﷺ أخذ ينادي الفارين المنهزمين من المسلمين بقوله ﷺ: «**إليَّ عباد الله، إليَّ عباد الله، إني رسول الله، هلمَّ إليَّ**»، فكان لهذا النداء أثره في الفارين المنهزمين، جعلهم يرجعون إلى رسول الله ﷺ.

ومما يثبت الدعاة وعموم العاملين للإسلام، بل ويثبت عموم المسلمين أمام الأعداء وهجمتهم الشرسة على الإسلام وأهله ودعاته أن يقوم الدعاة بتذكيرهم بقوله تعالى: ﴿**إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾**﴾ [آل عمران]، وبقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [النساء].

فإذا كان الكفار يتحملون الأذى والقتل في سبيل باطلهم فأنتم أيها المسلمون أولى منهم في تحمل الأذى في سبيل دعوتكم، وهي الحق، ثم أنتم أيها المسلمين ترجون من الله في جهادكم ثواب الله

ورضوانه، وهم لا يرجون ذلك، فأنتم أولى منهم بالجهاد والثبات على دعوتكم، ومن العار أن يغلبكم أهل الباطل في ثباتهم على باطلهم، إذا أنتم جبنتم عن الوفاء بحق دينكم عليكم، إن تذكير الدعاة والمسلمين بهذه المعاني وضرب الأمثال والقصص مما يثير حمية المسلمين ويدفعهم إلى الاستمساك بدينهم وبالعمل له والجهاد في سبيله.

ضرب المثل بالمجاهدين السابقين: ومما ينفع في تذكير الدعاة والعاملين للإسلام، لحملهم على الثبات عليه وعلى الدعوة إليه، ضرب المثل بإخوانهم المجاهدين السابقين، وهم جماعات كثيرة، ساروا وراء أنبيائهم في درب الجهاد في سبيل الله، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وما ضعفوا عن الجهاد بعد الذي أصابهم منه، وما استكانوا للعدو، بل ظلوا صابرين ثابتين في جهادهم، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران].

وفي هذا تعريض بالمسلمين الذي أصابهم الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله ﷺ، وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم، وضرب الله مثلًا للمؤمنين لتثبيتهم بأولئك الربانيين وبما قالوه: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران].

وهذا القول ـ وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى نفوسهم مع كونهم ربانيين ـ هضمٌ لها واعترافٌ منهم بالتقصير، ودعاؤهم بالاستغفار من ذنوبهم مقدَّم على طلبهم تثبيت أقدامهم أمام العدو، ليكون طلبهم إلى ربهم النصرَ عن زكاة وطهارة وخضوع. [الزمخشري ١/ ٤٢٤].

وهكذا يجب على الدعاة أن يفعلوا، يتوجهون إلى ربهم تعالى متضرعين مستغفرين تائبين، قبل أن يطلبوا منه الثبات والنصر على الأعداء: ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران].

أي وبذلك نالوا ثواب الدارين: النصر والغنيمة في الدنيا، والثواب الحسن في الآخرة، جزاء إحسانهم في أدب الدعاء والتوجه إلى الله، وإحسانهم في موقف الجهاد، وكانوا بذلك مثلًا يضربه الله للمسلمين المجاهدين، وخصَّ الله تعالى الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه على ثواب الدنيا وأنه هو المعتمد عنده». [الزمخشري ١/ ٤٢٤– ٤٢٥، الظلال ١/ ٤٨٨]. [المستفاد لزيدان ٢/ ٢٠١-٢٠٢، ٢٠٣-٢٠٤].

ويقول د/ زيدان أيضًا: «الدعوة إلى الله بالكلمة الطيبة جهاد باللسان، فهو نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله، والجهاد من آثار الإيمان، وأعلى أنواع الجهاد بالسنان؛ لأن فيه بذل الأرواح في سبيل الله، والدعاة وهم يجاهدون بالقول، يحتاجون إلى ما يُبقي اندفاعهم في الدعوة، ويبقى حماسهم ونشاطهم

فيها، ومن سُبل ذلك استحضار صور الجهاد التي حفظها لنا التاريخ عن أولئك المجاهدين من السلف الصالح، وعلى رأسهم صحابة رسول الله ﷺ، فإن في استحضار بطولاتهم وجهادهم في سبيل الله ما ينعش نفوس الدعاة إلى الله، ويمدهم بطاقة هائلة من الإيمان والاندفاع في الدعوة؛ لأنهم مهما يقدموا من جهد في سبيلها فلن يبلغوا ما قدمه أولئك المجاهدون من أصحاب رسول الله ﷺ، وبالتالي فلن يستكثروا ما يقدمون من جهد في دعوتهم.

ومن جهاد الأولين من أصحاب رسول الله ﷺ في معركة أحد أن خيثمة ﷺ ـ وكان ابنه قد استشهد يوم بدر ـ قال لرسول الله ﷺ: **وَقَدْ رَأَيْتُ ابْنِي البَارِحَةَ فِي النَّوْمِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ يَسْرَحُ فِي ثِمَارِ الجَنَّةِ وَأَنْهَارِهَا وَهُوَ يَقُولُ: الحَقْ بِنَا تُرَافِقْنَا فِي الجَنَّةِ، فَقَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا، وَقَدْ وَالله يَا رَسُولَ الله أَصْبَحْتُ مُشْتَاقًا إِلَى مُرَافَقَتِهِ فِي الجَنَّةِ، وَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي، وَأَحْبَبْتُ لِقَاءَ رَبِّي، فَادْعُ اللهَ يَا رَسُولَ الله أَنْ يَرْزُقَنِي الشَّهَادَةَ وَمُرَافَقَةَ سَعْدٍ فِي الجَنَّةِ.**

فَدَعَا لَهُ رَسُولُ الله ﷺ بِذَلِكَ، فَقُتِلَ بِأُحُدٍ شَهِيدًا.

وقصة أخرى من قصص المجاهدين، وهذا عَمْرُو بنُ الجَمُوحِ، وَكَانَ رَجُلًا أَعْرَجَ شَدِيدَ العَرَجِ، وكانَ له بَنُونَ أربعَة شَبَاب، مِثْلَ الأُسْدِ، يَشْهَدُونَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ المَشَاهِدَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَرَادُوا حَبْسَهُ، وَقَالُوا لَهُ: **إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ عَذَرَكَ، [جعلَ لَكَ رُخْصَةً، فَلَوْ قَعَدْتَ وَنَحْنُ نَكْفِيكَ، وَقَدْ وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الجِهَادَ]**، فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَ: **يا رسُولَ الله! إِنَ بَنِيَّ هؤلاءِ يُرِيدُونَ أَنْ يَحْبِسُونِي عَنْ هَذَا الوَجْهِ، وَالخُرُوجِ مَعَكَ فِيهِ، فَوالله إِنِّي لأَرْجُو أن [أُسْتَشْهَدَ] فأطأَ بعَرْجَتِي هذِهِ فِي الجَنَّةِ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **أَمَّا أَنْتَ، فَقَدْ عَذَرَكَ اللهُ فَلا جِهَادَ عَلَيْكَ [وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الجِهَادَ]**، وقال لبنيه: **ومَا عَلَيْكُم أَنْ لاَ تَمْنَعُوهُ، لَعَلَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ**»، فخرجَ مَعَ رسولِ الله ﷺ، فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شهيدًا».

وبقي هذا الحماس والاندفاع إلى الجهاد يغشى المؤمنين الذين وضع الله عنهم الجهاد بالقتال، فقد جاء في أخبار معركة القادسية في زمن عمر بن الخطاب ﷺ قول أنس بن مالك ﷺ: رأيت يوم القادسية عبد الله بن أم مكتوم الأعمى ﷺ ـ صاحب رسول الله ﷺ ـ وعليه درع يجر أطرافها وبيده راية سوداء، فقلت له: أليس قد أنزل الله عذرك؟ قال: بلى ولكني أكثر سواد المسلمين بنفسي. [تفسير القرطبي ٤/ ٢٦٦]».

[المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ٢٠٦-٢٠٧].

١٤ ـ الآجال مفروغ منها:

يقول د/ زيدان: «ومما ينفع لتثبيت الدعاة والعاملين للإسلام عمومًا تذكيرهم بأن الآجال قد فُرِغ منها فلا يزيد في عمر الإنسان جبن ولا فرار من مواجهة الأعداء، ولا ينقص من عمر الإنسان إقدامه

ومجاهدته للأعداء، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [آل عمران].

وفي هذه الآية تشجيع للجبناء وترغيب لهم في القتال، فإن الإقدام والإحجام لا ينقص من العمر ولا يزيد فيه، وبذلك تستقر حقيقة الأجل في النفس فتترك الاشتغال به ولا تجعله في حسابها وهي تفكر في أداء التكاليف والالتزامات الإيمانية، ومنها الجهاد في سبيل الله والقيام بمتطلبات الدعوة إلى الله، فلا يقعد بها عن ذلك خوف ولا فزع، وبذلك تستقيم على الطريق، طريق الدعوة إلى الله، بكل تكاليفه والتزاماته في صبر وطمأنينة وتوكل على الله الذي يملك الآجال وحده، وإذا كان الأمر كما ذكرنا من تحديد الأجل فلينظر المسلم ماذا يريد؟ هل يريد أن يقعد عن تكاليف الإيمان ويحصر همه في الدنيا أو لينال شيئًا من متاعها، وفي هذا تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد، أو يريد المسلم ما هو أعلى وأجل وأبقى من متاع الدنيا وهو ثواب الآخرة، وشتان بين المرادين، ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ الجزاء المبهم الذي تتطلع إليه نفوس المؤمنين الذين شكروا نعمة الله عليهم، نعمة الإسلام، فلم يشغلهم غيره عن الجهاد في سبيله». [الزمخشري ١/ ٤٢٤، الظلال ١/ ٤٨٧ –٤٨٨]. [المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ٢٠٢-٢٠٣].

١٥ ـ النظر إلى الماضي للعبرة والاتعاظ:

يقول د/ زيدان: «وعلى الدعاة ألا يستبد بهم الهم والغم والحزن على ما فاتهم من فرص كان من الممكن فيها تحصيل خير للدعوة، وإنما عليهم النظر إلى الماضي للعبرة والاتعاظ فقط، لا للحزن والبكاء، والنظر للمستقبل ليعرفوا ما ينبغي لهم فعله في ضوء ما وقع في الماضي، وما هم عليه في الحاضر، وإن الحاضر مضى بما فيه، وما وقع فيه لا يمكن تعديله وإنما يمكن أخذ العبرة منه، فلا وجه للحزن عليه؛ لأن الحزن لا يرد مفقودًا ولا يعيد معدومًا، قال تعالى عما أصاب المسلمين في أحد: ﴿۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [آل عمران].

كما يجب على الدعاة ألا يقولوا: لو فعلنا كذا لكان كذا على وجه التفجع والحزن ورد المُقَدَّر، فإن «لو» تفتح عمل الشيطان، وإنما عليهم كما قلت التأملُ فيما صدر منهم من خطأ أو غفلة أو تقصير، كانت من أسباب ما وقع ليتقوا ذلك في المستقبل، فإن وقائع الحياة والتجارب تعلِّم الإنسان ما لا يعلِّمه الكتاب، وإن كان ثمن هذا التعليم باهظًا». [المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ٢٠٤].

١٦ ـ تحميل النفس وليس الغير سوء ما وقع ويقع:

يقول د/ زيدان: «على الدعاة أن يعلموا ويستحضروا هذا العلم في أنفسهم، ويعلموه غيرهم وهو أن ما أصابهم ويصيبهم هو بسبب من أنفسهم، فليحمِّلوها المسؤولية ولا يحملوا غيرهم المسؤولية،

قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾[آل عمران].

والمصيبة التي أصابتهم هي قتل سبعين منهم، وقد أصاب المسلمون مثليها يوم بدر، فإنهم قتلوا من المشركين سبعين وأسروا سبعين، ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ أي من أين جرى علينا هذا ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: بسبب عصيانكم لرسول الله ﷺ حين أمر الرماة ألا يبرحوا مكانهم الذي أنزلهم فيه رسول الله ﷺ فعصوا أمره وترك أكثرهم مكانه. [تفسير ابن كثير ١/ ٤٢٤ – ٤٢٥].

قلنا: إن سبب المصائب يرجع إلى فعل الإنسان وهو يتحمل مسؤولية ذلك، فعلى الدعاة أن يفقهوا ذلك، وما يحل بالإنسان يرجع إلى أحد شيئين:

الأول: معاصيه.

والثاني: مخالفته لسنة الله أو سننه التي وضعها الله لتجري عليها أمور الحياة، ومخالفة المسلم لسنن الله في الحياة نوع من مخالفته لشرع الله؛ لأن الله تعالى أمر بأن نلاحظ سننه فيما نأخذ ونترك، ولن تُخْرق هذه السنن للمسلم لكونه مسلمًا، وقد قَصَّر في مراعاتها وخالفَ الشرع في أمره بهذه المراعاة، فالمعاصي لشرع الله هي سبب ما يحل بالإنسان، وهي سبب ما حل بالمسلمين وما يحل بهم، وما يحل بالدعاة وبجماعتهم المسلمة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فمن المعلوم بما أرانا الله من آياته في الآفاق وفي أنفسنا، وبما شهد في كتابه أن المعاصي سبب المصائب، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾[الشورى]. [ينظر كتاب: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية ـ د/ عبد الكريم زيدان ص ٢١٢ ـ ط ٣ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م].

وقال المفسرون في هذه الآية: أي وما أصابكم أيها الناس، أي مصيبة من مصائب الدنيا كالمرض وسائر النكبات والأحوال المكروهة كالآلام والأسقام والقحط وأشباهها ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي بسبب معاصيكم التي اكتسبتموها ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ أي ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقبكم عليها عاجلًا، قيل: وآجلًا.

فعلى الدعاة أن يبينوا هذا للناس في خطبهم ومواعظهم؛ لأن مما ابتُلي به المسلمون أفرادًا وجماعات أنهم يلقون المسؤولية واللوم على غيرهم وينسون أنفسهم، فنراهم إذا وقعت عليهم مصيبة أو نكبة، راحوا يفتشون على من يحمِّلونه مسؤولية ما وقع عليهم من نكبات ومصائب، مثل فقد ديارهم واستيلاء العدو عليهم، وهزائمهم في الحروب، وينسون أنفسهم فلا يحمِّلونها شيئًا، وكذلك الحال في

الجماعات المسلمة التي تقع في مخالفات الشرع، ومخالفات سنن الله، وفي العمل الجماعي ومتطلباته، فتقع عليها النكبات والمصائب، فترمي المسؤولية على الغير فيما حل بها من مصائب.

إن القرآن الكريم حدد الجهة التي تلام وتقع عليها المسؤولية بالدرجة الأولى بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾، فالله تعالى حدد الجهة التي تُلام عند حلول النكبة والمصيبة وهي أنفسنا، فلا يجوز شرعًا أن نبرئ أنفسنا مما يقع علينا من النكبات والمصائب ونلقي اللوم والمسؤولية على غيرها.

وفائدة لوم النفس وتحميلها المسؤولية حث المسلم على السعي الجاد لإزالة ما قام في النفس أو ما صدر عنها من أسباب أدت إلى وقوع هذه النكبات والمصائب، والسعي لإزالة هذه الأسباب بالعمل الجاد والسريع لعدم وقوعها في المستقبل.

وهذا ما يخشاه أعداءُ الإسلام والمسلمونَ، فإنهم لا يخشون شتم المسلمين لهم وصراخهم بأن ما حل بهم هو من تدبير الكافر المستعمر ما داموا لا يحمِّلون أنفسهم مسؤولية ما حلَّ بهم، ويظلون جاهلين أنهم هم السبب لتقصيرهم وعدم قيامهم بمتطلبات دينهم، وعدم مراعاتهم لسنن الله في الأمم والجماعات والأفراد، فعلى الدعاة تبصير المسلمين بذلك وعدم إغفاله». [المستفاد لزيدان ٢/ ٢٠٤-٢٠٦].

١٧ ـ من جزاء السيئة السيئة بعدها:

يقول د/ زيدان: «وعلى الدعاة أن يحذروا من المعاصي وقوعًا أو اقترابًا منها؛ لأن المعصية تجر صاحبها إلى المعصية؛ ولذلك قال بعض السلف: إن من جزاء الحسنة الحسنة بعدها، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها، فإذا وقع الدعاة في معصية فعليهم الإسراع إلى الاستغفار والتوبة منها، فإن الله يقبل التوبة عن عباده، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾[آل عمران]، أي إن الذين تولوا عن القتال في معركة أحد ففروا وانهزموا إنما استزلهم الشيطان، أي حملهم على الزلل بالتولي عن القتال بسبب ما اكتسبوا من الذنوب، والتي منها مخالفة الرماة لأمر رسول الله ﷺ بالبقاء في أماكنهم، فلما خالفوا وتركوا أماكنهم ونزلوا في ساحة المعركة للغنيمة، ورجع المشركون يقاتلون المسلمين فروا مع الفارين، فالذنوب بالنسبة إلى مرتكبيها كالأمراض بالنسبة للمصاب بها، تضعف مقاومته وتفتح ثغره في بدنه تتسلل منها الجراثيم، أو تقوي فيه الموجود منها ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾، أي عما كان منهم من الفرار لندمهم عما فرط منهم، ولتوبتهم النصوح ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ أي يغفر الذنوب ويحلم عن خلقه ويتجاوز عنهم». [المستفاد لزيدان ٢/ ٢٠٨-٢٠٩].

١٨ ـ فوائد الابتلاء الجماعي للفرد والصف:

يقول أ/ عبَّاد: «الابتلاء الجماعي نوع من أنواع الابتلاءات التي تصيب الجماعة المسلمة منذ ظهورها وإعلانها الحرب على أولياء الشيطان، فاصطدمت بالطواغيت وأعوانهم وأذنابهم ـ في كل العصور ـ سواء كانوا كبارًا أو صغارًا، وأصبح الابتلاء من الأمور المسلَّم بها، وضرورة من ضروريات التمكين، وسنة الله الأزلية في تمحيص المؤمنين وإعدادهم ليدخلوا الجنة ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة]، والطريق الذي لا يعفى منه أحد من المؤمنين ولا من الرسل عليهم السلام: ﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾﴾ [محمد ﷺ] ومن هنا كان للابتلاء الجماعي فوائد للفرد وللصف.

فبالنسبة للفرد يزداد في مرحلة البلاء تعلقًا بالعبادات وبالقرآن ويتوجه إلى الله تعالى، وتنقى نفسه من الشوائب ـ شوائب الشرك والرياء ـ وينقي قلبه من الهوى، وتزداد ثقته بالله تعالى، ويعلم أن في ذلك تكفيرًا لذنوبه، ويعلم منزلته عند الله تعالى لقول الرسول ﷺ حينما سأله سعد بن أبي وقاص ﷺ: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَالَ: «**الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**». [الترمذي في الزهد (٢٣٩٨)، وقَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وابن ماجه في الفتن (٤٠٢٣)، والدارمي في الرقاق (٢٧٨٣)، وأحمد عن سعد بن أبي وقاص ﷺ (١٤٨٤، ١٤٩٧، ١٥٥٨، ١٦١٠)].

ومع كل هذا يعلم الفرد من نفسه صفات الشجاعة والصبر والزهد والتواضع والثبات والكرم، والشح والجبن والجشع والكبرياء... إلخ.

أما بالنسبة للصف فهي تنقيه من أعدائه الباطنيين الذين دخلوه وقت الرخاء وما زال بقلوبهم نفاق: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران].

وأيضًا تعميق المحبة بين أفراده حيث إنه ـ الابتلاء ـ يؤلف بين قلوب المبتلين؛ لما يراه الأحبة من تعذيب وعنت يقع على إخوانهم.

وكذلك فيه ـ الابتلاء الجماعي ـ إغاظة للمشركين وسائر أعداء الإسلام حيث يرون الصف يخرج من الابتلاء أقوى عودًا، ثابتين ثبات الشم الرواسي ومتزايدين في تحدي الباطل وأهله.

لهذا كله كانت المحن بالنسبة للمسلمين منحًا من الله تعالى، فيها خيرهم وفيها صلاحهم ونصرهم وفوزهم في الدنيا والآخرة». [مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٢٠٤-٢٠٦].

١٩ ـ معرفة العقبات التي تعترض طريق الدعوة:

يقول د/ بامدحج: «لو تأملنا في غزوة أحد لاستطعنا أن نعرف الثغرات التي تسببت في وقوع البلبلة والارتباك الذي حدث في صفوف المسلمين أثناء مجريات الغزوة، وذلك بفضل الله ﷻ، ثم بفضل الخطة التي رسمها رسول الله ﷺ لمواجهة أعداء الدعوة في تلك الفترة، فقد استطاع إيجاد الحل المناسب والقضاء على تلك السلبية في الوقت المناسب وبالعلاج المناسب، دون تردد أو تفكير وبحث عن العقبة التي اعترضت سبيل تنفيذ الخطة المرسومة.

ومعرفة العقبات التي تعترض طريق الدعوة إلى الله في العصر الحديث أمر ضروري لا غنى عنه للمشرفين على توجيه الدعوة وإعداد الدعاة في الدول الإسلامية القادرة على حمل أمانة الدعوة إلى الله، والاضطلاع بهذه المهمة الجليلة، ولا غنى عن هذه المعرفة كذلك للدعاة الذين يعملون في ميدان الدعوة، حتى تكون دعوتهم على هدى وبصيرة، وهذا لن يتأتى إلا بالقيام بعمل تخطيط شامل للدعوة المراد القيام بها كي يتم تحديد العقبات والمعوقات التي تعترض طريق الدعوة». [غزوة أحد لبامدحج ٢٤٥-٢٤٦].

٢٠ ـ الإخلاص في الدعوة إلى الله:

يقول د/ بامدحج: «الكلام في موضوع الإخلاص طويل جدًّا؛ وذلك لأهمية الموضوع ومنزلته، حيث إنه من شروط قبول العمل كما هو معروف، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

قال الحافظ ابن كثير ﷺ: «﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ أي ما كان موافقًا لشرع الله ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ وهو الذي يُراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا العمل المتقبَّل، لابد أن يكون خالصًا لله، صوابًا على شريعة رسول الله ﷺ». [تفسير ابن كثير ٣/ ١٢٠].

ولعل ذلك يتضح لنا من قصة الصحابة ﭫ ومخيريق ﭬ وقزمان الذي قاتل عن أحساب قومه، فكلٌّ منهم قاتل قتال الأبطال وكافح وناضل، ولكن نهاية كل منهم تختلف عن الآخر، فمَنْ قاتل لإعلاء كلمة الله ﷻ سينال ـ بإذن الله تعالى ـ الجنة، ومَنْ قاتل لغرض دنيوي أو لمقصد معين من شهرة ومنصب وجاه ومتاع، فبئس ما نوى، وسينال العقاب من الله ﷻ.

وعليه فكل عمل لابد له من نية، وإنما أجره وجزاؤه على حسب تلك النية، كما قال ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...**». [البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)].

ومن هذه الأعمال الفاضلة الدعوة إلى الله التي تحتاج إلى صدق النية، ويتأكد فيها الإخلاص.

وأما إذا تجرد الداعية من الإخلاص، وباتت غايةً يريدها، وغرضًا يبتغيه، وتوجَّه إلى الشهرة والسمعة، والمنصب والجاه والمال والمتاع، وترك ما هو أسمى وأجل، ترك ابتغاء وجه الله، وأعرض عن مقام المخلصين ومآل المتقين.

[خصائص الخطبة والخطيب ـ نذير محمد مكتبي ص١١١ ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م].

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البيِّنة]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١﴾ [الزُّمَر]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤﴾[الزُّمَر].

الإخلاص خلق نفسي يحتاج إليه المسلم في عبادته، وطالب العلم في عمله، والداعية في دعوته، وكل صاحب عمل شريف، ومقتضى الإخلاص، التجرد التام في العمل من المصالح الشخصية، المرتبطة بالخلق وعدم إعلانه للناس إلا ما فيه مصلحة ظاهرة والتوجه إلى الله بالعبادة وعدم صرف شيء منها لغير الله.

وعمل الداعية من أدق الأعمال وأكثرها حساسية؛ لارتباطه بالنية وهي من أعمال القلوب؛ ولذلك فلابد أن يعد الداعية نفسه من هذه الناحية إعدادًا قويًّا، فلا يَقْدُم على عمله الدعوي إلا بعد تمحيص النية وتخليصها من الشوائب التي تعكرها، وتكدر صفوها.

فإذا عرف الداعية من نفسه الإخلاص لله ﷻ في أقواله وأفعاله، فإنه بعد ذلك لا يخشى في الله لومة لائم، ولا تقف في طرقه معوقات الطريق، وبذلك يصبح الإخلاص من أهم المقومات النفسية في عمله الدعوي قولًا وفعلًا.

ومن المعلوم أن الدعوة إلى الله من أشرف العبادات التي يؤديها المسلم طاعة لله وابتغاء مرضاته، وهذا أسمى هدف يسعى إليه المسلم.

وإذا كان هذا هو الهدف الذي يسعى إليه المسلم، والداعية بالذات، فعليه أن يحذر الوقوع في مزالق هذا العمل التي تؤدي إلى إحباط سعيه وهبوط عمله، ومن أخطرها على الداعية التعلق بالدنيا والعمل لها. [المرأة المسلمة المعاصرة: إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة ـ د/ أحمد بن محمد أبابطين ص ٢٠٠ ـ دار عالم الكتب ـ الرياض ١٤١١هـ/ ١٩٩١م].

وقد بيَّن الرسول ﷺ الفرق في النية، وتفضيل الإخلاص فيها لله ﷻ على من صرفها لأجل غرض دنيوي في قوله ﷺ في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب ﷺ قال ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى: فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**». [سبق تخريجه]. [غزوة أحد لبامدحج ٢٤٧ - ٢٤٩].

ويقول د/ بامدحج أيضًا: «يجب على الداعية أن يكون بعيدًا عن الانتماءات والحزبيات والتعلق بالأشخاص، وأن عليه أن يلتزم منهاج النبوة في الكتاب والسنة؟ علمًا، ودعوة، والتزم جماعة المسلمين من كان كذلك: «**على مثل ما أنا عليه وأصحابي**»، والتزم إمامهم المسلم في كل بلد ـ إن كان لهم إمام ـ بالسمع والطاعة في المعروف، ما لم ير كفرًا بواحًا عنده عليه من الله برهان، والعمل العمل، على الجهر بحكمة ودراية بإعادة الحياة الإسلامية في المسلمين صافية من شوائب الشبهات والشهوات بعمل إسلامي ظاهر، لا في السراديب المظلمة. [**حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية ـ د/ بكر بن عبد الله أبو زيد ص ١٦٦ ـ دار ابن الجوزي ـ الدمام ـ السعودية ١٤١٣هـ**].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصًا يدعو إلى طريقته، ويوالي ويعادي عليها، غير النبي ﷺ، ولا ينصب لهم كلامًا يوالي عليه ويعادي غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصًا أو كلامًا يفرقون به بين الأمة، يوالون به على ذلك الكلام، أو تلك النسبة، ويعادون». [**فتاوى ابن تيمية ٢٠/ ١٦٤**].

وقال ﵀: «من نصَّب شخصًا كائنًا مَنْ كان، فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل، فهو من الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعًا». [**الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٢/ ٢٣٩-٢٤٠**].

وهذه حال كثير من الجماعات والأحزاب الإسلامية اليوم، إنهم يُنصِّبون أشخاصًا قادة لهم، فيوالون أولياءهم، ويعادون أعداءهم، ويطيعونهم في كل ما يفتون لهم، دون الرجوع إلى الكتاب والسنة، ودون أن يسألوهم عن أدلتهم فيما يقولون أو يفتون.

[**حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية ـ د/ بكر بن عبد الله أبو زيد ص ١٢١**].

ومن مسلمات الاعتقاد عقد سلطان الولاء والبراء تحت اسم الإسلام، ورسم أحكامه، فلا يجوز بحال عقده على شعار بدعي، من اسم، أو رجل، أو طائفة، أو ما يُفضي إلى بدعة أو معصية، وهكذا.

وإن من أبغض الناس إلى الله مبتغيًا في الإسلام سنة الجاهلية، مطلقة أو مقيدة، يهودية، أو نصرانية، أو مجوسية، أو صابئة، أو وثنية، أو شركية، أو عصبية لرجل، أو لطائفة، أو لرسم دون آخر، وهكذا... فكل هذا جاهلية. [**المرجع السابق ص ١١٦**].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن، من نسب، أو بلد، أو جنس، أو مذهب، أو طريقة، فهو من عزاء الجاهلية، بل لما اختصم مهاجري وأنصاري، فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار، قال النبي ﷺ: «**أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟!**» وغضب لذلك غضبًا شديدًا. [**اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢١٠-٢٢٦ ـ تحقيق وتعليق د/ ناصر بن عبد الكريم العقل ب.ن ـ ١٤٠٤هـ**].

وقال ابن القيم ﵀: والدعاء بدعوى الجاهلية، كالدعاء إلى القبائل، والعصبية للإنسان، ومثله التعصب للمذاهب، والطوائف، والمشايخ، وتفضيل بعض على بعض في الهوى والعصبية، وكونه

منتسبًا إليه، يدعو إلى ذلك، ويوالي عليه ويعادي، ويزن الناس به، فكل هذا من دعوى الجاهلية».

[ابن القيم، نقلًا عن: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ـ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب ص ٤٥٦ ـ مكتبة الرياض الحديثة بالرياض]. [غزوة أحد لبامدحج ٢٤٢-٢٥٠].

٢١ ـ إعداد النساء للدعوة إلى الله:

ويقول د/ السباعي: «وفي ثبات نسيبة أم عمارة ﵂، ووقوفها وزوجها وأولادها ﵃ حول رسول الله ﷺ حين انكشف المسلمون يوم أحد، دليل ـ من الأدلة المتعددة ـ على إسهام المرأة المسلمة بقسط كبير من الكفاح في سبيل دعوة الإسلام، وهو دليل على حاجتنا اليوم إلى أن تحمل المرأة المسلمة عبء الدعوة إلى الله من جديد، لتدعو إلى الله في أوساط الفتيات والزوجات والأمهات، ولتنشئ في أطفالها حب الله ورسوله، والاستمساك بالإسلام وتعاليمه، والعمل لخير المجتمع وصلاحه.

وما دام ميدان الدعوة شاغرًا من الفتاة المسلمة الداعية، أو غير ممتلئ بالعدد الكافي منهن، فستظل الدعوة مقصرة في خطاها، وستظل حركة الإصلاح عرجاء حتى يسمع نصف الأمة ـ وهن النساء ـ دعوة الخير، ويستيقظ في ضمائرهن وقلوبهن حب الخير والإقدام على الدين، والإسراع إلى الاستمساك بعروته الوثقى». [السيرة النبوية: دروس وعبر للسباعي ١١٦].

ويقول د/ زيدان: «ويجب على الدعاة أو على جماعتهم أن يحرصوا على إعداد المؤمنات للقيام بأعمال الدعوة إلى الله في أوساط النساء، فهن أقدر من الرجال في الدعوة في مجال النساء، كما يمكن أن يقمن ببعض متطلبات الدعوة وتبليغها، ومن شأن هذه المتطلبات السرية وعدم الظهور والانكشاف، ودليلنا على ما نقول أن النساء المؤمنات كن يشاركن في غزوات النبي ﷺ، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن ثابت عن أنس بن مالك ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سُلَيم ونسوةٍ من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى». [صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ١٨٨].

وعلى الدعاة أن يحاولوا أن يجعلوا نساءهم ـ كزوجاتهم أو أمهاتهم أو أخواتهم أو قريباتهم ـ داعيات معهم ليسهل على الدعاة ذوي العلاقة بهن تكليفهن بأعمال الدعوة التي تناسبهن، ويكونوا ـ أي الدعاة ـ على اتصال سهل ميسور معهن، وإنما نطلب من الدعاة أن يعُدوا المؤمنات ليكن داعيات؛ لأنه إذا جاز واستحب للنساء المسلمات أن يشاركن في حرب المسلمين مع الكفار، ويقمن بما يحتاجه المقاتلون ويناسب قدرات النساء، فمن باب أَوْلى أن يكون من المرغوب فيه شرعًا أن يساهمن في الدعوة إلى الله بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة في أوساط النساء، وأن يقمن بالأعمال الأخرى من أعمال الدعوة التي هنَّ أقدر عليها من الرجال كتبليغ خبر أو إيصال معونة إلى عوائل الشهداء من الدعاة ونحو ذلك». [المستفاد لزيدان ٢/ ٢٢٧].

٢٢ ـ دروس للدعاة:

يقول د/ أبو فارس: «وفي هذه الأحداث دروس ينبغي على الدعاة أن يستفيدوا منها:

(١) طاعة الأمير في الإسلام واجبة يحرم على الجندي أن يخالف أمر الأمير، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩].

وقال ﷺ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعْ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي**». [صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ٢٢٣].

وقال رسول الله ﷺ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**». رواه البخاري وابن ماجه والإمام أحمد. [مختصر شرح الجامع الصغير ١/ ٦٧].

(٢) عصيان الأمير يستوجب العقوبة في الدنيا والآخرة، وفي وقعة أُحد كانت العقوبة الدنيوية الحرمان من النصر، وفي الآخرة استحقاق الوزر، فإن شاء الله غفر وإن شاء عفا، وهو عَفُوٌّ كريم يحب العفو، ويعفو عن المؤمنين إن هم تابوا وأنابوا إليه بقلوب مخلصة.

(٣) عدم ترويج الإشاعة التي يطلقها الأعداء والتحدث بها إلى الناس، بل إن المطلوب من المسلم أن يردَّ كل ما يسمعه إلى ولي الأمر فقط، أما إن حَدَّثَ بها الناس فإنه يخدم أغراض المشركين من حيث لا يشعر.[1]

قال تعالى يرشد المؤمنين إلى موقفهم من الإشاعة: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء].

---

(١) يظهر للقارئ الكريم أثر الإشاعة في خلخلة وحدة الصف المسلم، وانهيار المعنويات، والقعود عن القتال، ومن العجيب أن المؤمنين أنفسهم قد أسهموا في نشر هذه الإشاعة، فخدموا أغراض المشركين من حيث لا يعلمون، مع أنه من المُسَلَّم عند المُسْلِم أن الكافر ليس بثقة يتلقى عنه، وغير موثوق به، ويتأكد هذا في موطن القتال، فالمفروض أن يتوقع من عدوه الكذب والخداع والتلفيق؛ لأن الحرب خدعة، ولكن الذي جعله يغفل عن هذا ويسهو عنه هول الضربة ومفاجأتها.

ولعل في هذه الإشاعة فائدة في مستقبل الأيام، ذلك لتهيئة نفوس المؤمنين ـ المتعلقة برسول الله ﷺ وحبه أكثر من حب النفس والوالد والمال ـ بأن هذا الرسول سيفارقكم يومًا من الأيام، وسيموت وستبقى سنته من بعده وكتاب ربه، تستضيؤون بنورها وتتبعون ما فيها، فتعصمون من الزيغ والضلال والانحراف، ومع هذه التهيئة وغيرها فقد أصاب المسلمين ذهول شديد عند موته ﷺ لولا رباطة جأش أبي بكر ﷺ وإخبار الناس بالحقيقة: من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله لا يموت، فسكن الناس وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب ﷺ.

(٤) ينبغي أن يحرص الجندي دائمًا على الاتصال بالقائد، وألا يقطع هذا الحبل تحت أي ظرف، فإن في بقاء الاتصال خيرًا كثيرًا، كذلك ينبغي على القائد أن تكون الخيوط بيده، وإذا انقطع خيط وصله.

ولقد ظهر هذا الموقف جليًّا في هذه الغزوة، فما أن سمع الصحابة بنداء الرسول ﷺ إلا وطاروا نحوه، وتجمعوا حوله، وشدوا أزره، واستجابوا لأمره». [غزوة أُحد لأبي فارس ٨٠-٨٢].

٢٣ ـ أوجه تفيد الدعوة من غزوة أُحد:

يقول د/ بامدحج: «سنحاول حصر الفوائد الدعوية من غزوة أحد والمرتبطة بالدعوة في النقاط التالية:

(١) أن تكون الغاية من الدعوة إعلاء كلمة الله ورفع راية التوحيد والقضاء على الشرك والبدع والخرافات: فهذه هي غاية الدعوة وغاية الجهاد في سبيل الله ﷻ، والمشركون من قريش إنما خرجوا إلى أُحد نصرة لأوثانهم ومعتقداتهم الفاسدة وحربًا لله ﷻ ولرسوله ﷺ.

(٢) أن تكون الدعوة إلى الله في الوقت الحاضر قائمة على التخطيط المنظم بعيدة عن العاطفة والارتجال: من خلال ما تقدم نخلص إلى أن الرسول الكريم ﷺ قد بيَّن لنا أهمية التخطيط للعمل الدعوي في أي ظرف من الظروف سواء كان ذلك في السلم أم في الحرب.

وتبين لنا من خلال ما قام به الرسول ﷺ من تخطيط أن نجاح الدعوة يقوم على الجانب الكيفي لا الكمي، فلو كان التخطيط يعتمد على الجانب الكمي لاستطاعت قريش القضاء على الدعوة من أول اللقاء، فقد كان عدد جيش قريش يفوق عدد جيش المسلمين، ولكن بفضل الله ونصره وأن الله مع المؤمنين ثم بحسن التخطيط وكيفية الاستفادة من الطاقات المتوافرة استطاع الرسول ﷺ أن يسهم في تقليص الفارق العددي والكمي ويبرز الفارق الكيفي.

واتضح لنا كذلك أن رسول الله ﷺ أخذ التدابير اللازمة للمحافظة على الدعوة باتخاذ كافة الوسائل المعينة والاحتياطات اللازمة، ومن ذلك:

(أ) جمع المعلومات الكاملة عن أعداء الدعوة، وأهدافهم من مواجهة الدعوة.

(ب) توثيق المعلومات المجموعة، والتأكد من صحتها، وعدم التعجل بوضع خطة معينة بناءً على المعلومات المتوافرة عن أعداء الدعوة.

(ج) اختيار الموقع والمكان المناسبين من الناحية الجغرافية؛ لأن ذلك أدعى إلى: (تكوين فكرة عن السكان الذين تتعلق بهم الدعوة لوضع الخطط المناسبة بشكل واقعي صحيح؛ لأن التخطيط يسوق إلى حسن الاختيار). [الدعوة: الوسائل، الخطط، المداخل ص ٣١٢ ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ أبحاث اللقاء الخامس المنعقد في نيروبي بكينيا ـ الطبعة الأولى ـ الرياض ١٤٠٥هـ].

يتضح لنا من ذلك أن (العمل الدعوي يحتاج إلى تنظيم وتخطيط، فالدعوة الإسلامية قامت على التخطيط المنظم البعيد عن العاطفة والارتجال، وقد أمر الله ﷻ بإعداد القوة لنصرة الدعوة، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾[الأنفال].

وهذه القوة ناتجة عن التخطيط المنظم، بل إن كل شيء في هذا الكون قائم ـ بأمر الله ـ على التنظيم والنظام، فالكواكب والمجرات السابحة في الفضاء، وتعاقب الليل والنهار، وتتابع الفصول، وتناسل المخلوقات، وسريان الحياة في الكائنات الحية، وتنظيم أجهزتها وخلاياها الدقيقة المعقدة، إلى ما لا نهاية من النواميس الإلهية في الكون والحياة، كلها قائمة على التنظيم الدقيق، وأي خلل في نظامها، يؤدي إلى اختلال عملها، وتعطيل أدوارها ووظائفها، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران].

وقال جل ثناؤه: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس].

فالفوضى والعفوية نقيض النواميس الكونية، والعمل ـ مهما كان صغيرًا ـ لا يمكن أن يُكتب له النجاح ما لم يكن منظمًا، وكثير من الطاقات تهدر وتضيع في غياب التخطيط. [**العلاقة بين الفقه والدعوة ـ مفيد خالد عيد أحمد عيد ص ١٥٩، مكتبة دار البيان ـ الكويت، ومكتبة ابن حزم ـ بيروت ١٤١٦هـ**].

والمنهج الإسلامي قائم على التنظيم والتناسق والتكامل، فالعبادات ـ كالصلاة والصوم والزكاة والحج ـ تقوم في كل جزئياتها وتفصيلاتها على أصول وقواعد تنظيمية، والنظام الاجتماعي، كأحكام الزواج، والمبادئ التي تحكم الأسرة المسلمة، كلها قائمة على أسس تنظيمية ثابتة، وهكذا كل النظم الإسلامية. [**أبجديات التصور الحركي ـ أ/ فتحي يكن ص ١١-٤٠ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م**].

وبالتالي على الداعية أن يحرص ألا يدخل في أي عمل من الأعمال ـ وإن كان بسيطًا ـ إلا بالتخطيط، فإن هذا من شأنه استغلال الوقت أحسن استغلال مع توفير الجهد، والتقليل من التكاليف، وسيرة النبي ﷺ غاصة بالنماذج الناطقة بحرصه ﷺ على التخطيط ولو لأبسط الأعمال، فمثلًا ما كان ينام في سفر أو حضر إلا ويكلف من يكلأ الوقت، ويراقبه، وما كان يأكل أو يشرب إلا بنظام أو ترتيب خاص، وما كان يغزو أو يسالم إلا وفق تخطيط وترتيب، وهكذا في سائر حياته وأعماله ﷺ. [**آفات على الطريق ـ د/ السيد محمد نوح ٣/ ١٢٤ ـ دار الوفاء ـ مصر ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م**]. [**غزوة أُحد لبامدحج ٢٤٢-٢٤٥**].

٢٤ ـ هوامش على غزوة أحد:

يقول أ/ حوى:

١ – يبدو لي أن غزوة أحد جمعت هزيمتين للطرفين بآن واحد، واستمرت الهزيمتان إلى آخر الغزوة، فلقد هرب المشركون ابتداء، ثم وجد خالد الفرصة فهاجم وهرب بعض المسلمين، واستمر الهروب عند الطرفين، فنحن لا نعثر بعد هجمة خالد على تجمع كبير للمسلمين، كما أننا لا نعثر على تجمع كبير للمشركين، وإنما بقيت مجموعات في أرض المعركة، حتى إن خالدًا نفسه وهو الذي أوقع الهزيمة بالمسلمين لا نسمع له حسًّا بعد ذلك، فكأنه تصرف هذا التصرف الخاطف وهو في موقع اليائس، والذين بقوا على أرض المعركة لم يكونوا متكافئين، ومع ذلك فالإدارة الحازمة الحكيمة الرائعة للمعركة من قبل رسول الله ﷺ أوقفت المشركين عند حدهم واكتفوا بما حققوا، ولولا أنهم شعروا بالعجز أو أن خسائرهم ستكون أكثر من أرباحهم ما انسحبوا وهم يرون رسول الله ﷺ ومجموعة قليلة من أصحابه حوله أمامهم؛ ولذلك فالمعركة في مجموعها كانت متعادلة من ناحية النصر والهزيمة، وإن كانت ضحايا المسلمين أكثر لأن عدد العدو أكبر.

٢ – لا أعرف في تاريخ العالم ملحمة هي أعظم في البطولة والشجاعة والكفاءة العسكرية والقيادية كملحمة أحد، فأي قائد في تاريخ العالم يبقى في أفراد من جنده يتابع القتال ويدير المعركة حتى يكف العدو يده، ثم أي قائد يصاب بما أصيب به رسول الله ﷺ يومذاك ويبقى على غاية من اليقظة في إدارة الأمور فيرسل من يستكشف له وجهة قريش، ويعلن عن تصميمه على المعركة إلى النهاية، ثم يغسل آثار هزيمة المشركين بعملية خاطفة هي عملية حمراء الأسد التي أرجعت إلى الصف الإسلامي روحه المعنوية وأعادت هيبة المسلمين إلى المجتمع الذي يعيشون فيه، وأعادت قريشاً إلى صوابها وقذفت في قلوب رجالها الرعب.

٣ – لقد تلافت قريش الكثير من نواقصها يوم بدر، فلقد كان ينقصها يوم بدر وحدة القيادة وجودة التعبئة والتصميم الشامل على القتال والدوافع القوية نحو النصر، أما في أحد فلقد توحدوا تحت إمرة أبي سفيان وكانت تعبئتهم جيدة، وكان لهم ثأر يحركهم ومصالح يفتقدونها، وكان تصميمهم على المعركة شاملًا وكفاءتهم القيادية والقتالية عالية جدًّا، يظهر ذلك من تصرفات أبي سفيان وخالد وبني عبد الدار حملة اللواء، ومع ذلك هُزموا ابتداء وتكافؤوا انتهاء، ولولا غلطة الرماة لم تكن إلا الهزيمة، هذا مع أن العدو أربعة أضعاف ونيف، والخيل كانت عندهم كلها على قول وكانت أربعة أضعاف على قول آخر وهكذا، ولقد عوض رسول الله ﷺ عن النقص في العدد والعدة بحسن التخطيط والاستفادة من الأرض، ولكنه في النهاية لا تعليل إلا الإيمان وإلا التأييد الرباني وفعل الله لرسوله ﷺ والمؤمنين.

٤ – بعد سنتين ونيف من قيام الدولة الإسلامية في المدينة تبين أن ثلث الجيش الإسلامي لا يزال خارجاً عن طاعة رسول الله ﷺ، وذلك في الحقيقة أكبر سبر لوضع المجتمع المدني، إذ به عرف بالضبط المؤمن من غيره والمحصلة كانت ضخمة، فأن يستطيع رسول الله ﷺ أن يستخلص من زعامة عبد الله بن أبي الأكثرية المطلقة فذلك وحده كبير، والذي حدث بعد ذلك أكبر، فلقد توفي رسول الله ﷺ والمنافقين قلة، فأن يستخلص رسول الله ﷺ أكثرية المنافقين من النفاق، والبقية الباقية لا تجرؤ إلا أن تعلن طاعتها فذلك نجاح ما بعده نجاح، وبمثل ذلك يقتدي المقتدون.

٥ – لقد كان عمر رسول الله ﷺ يوم أحد خمسة وخمسين عامًا ونيفًا، ولو أنك استعرضت الجهد الذي بذله ﷺ الجمعة والسبت والأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء من شوال ذاك لرأيت عجبًا، فأي جسم هذا الجسم؟ وأي عقل هذا العقل؟ وأي روح هذه الروح؟ وأي نفس هذه النفس؟ إنه لا تعليل لاستمرار رسول الله ﷺ على وتيرة واحدة دون عجز أو قصور أو تقصير أو وهن أو ضعف إلا أنها الرسالة عن الله رب العالمين، وإلا صنع الله لرسوله ﷺ على عينه.

٦ – لقد نزلت في أحد حوالي ستين آية من سورة آل عمران من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ [آل عمران] إلى قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ﴾ [آل عمران:١٧٩]، ونزل فيها بعض آيات من سورة النساء منها قوله تعالى: ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ ﴾ [النساء:٨٨]، وإذ كان من البدهيات أن القرآن لا يتحدث إلا عن المعاني الخوالد التي تسع الزمان والمكان، ويحتاجها الإنسان في كل زمان ومكان ندرك كم في غزوة أحد من دروس تحتاجها الأمة الإسلامية.

٧ – من المعاني المهمة في الحياة ما ذكره بعضهم أن عليك أن تنظر إلى الأمور كلها بعين الشريعة وبعين الحقيقة، وأن تتعرف على الحكمة الربانية في كل حركة وسكون في هذا الكون، ولقد رأينا حكمًا كثيرة وراء ما حدث في أحد، ولكن حكمة ينبغي أن نضعها في حسابنا وهي: أن لقريش فضلها وستحمل الإسلام فيما بعد، فأن تكون أخذت ثأرها أدعى لأن تتعقل.

٨ – أهم دروس أحد أنها الدرس المقابل الذي لابد منه لبدر، فلو كانت بدر هي الدرس الوحيد للمسلمين لدفعهم ذلك إلى المغامرة دون حدود، وإلى اليأس إذا حدث فشل، ولكن أن تقع أحد بعد بدر فذلك هو الذي أوجد التوازن في التفكير الإسلامي العسكري على مدى العصور، فالله ينصر جنده، ولكن لهذا النصر شروطًا منه المادي ومنها المعنوي، وربنا يفعل ما يشاء.

بعبرة بدر وبعبرة أحد انطلق المسلمون ولا زالوا ينطلقون، وبروحانية بدر وبروحانية أحد يجب أن يتحرك المسلمون. [**الأساس في السنة وفقهها ـ السيرة النبوية لحوى ٢/ ٦٠٤-٦٠٦**].